جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الدلالات السياقية لقصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم

إعداد

إدريس الإدريسي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير 2024م/1445هـ

©2024م. إدريس الإدريسي. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب إدريس الإدريسي بتاريخ 11\12\2023، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

أ.د محمد خازر المجالي

المشرف على الرسالة

د. عبدالرحمن حللي

مناقش

د. عادل الحرازي

مناقش

أ.د عماد طه الراعوش

مناقش خارجي

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

إدريس الإدريسي، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يناير 2024م.

العنوان: الدلالات السياقية لقصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم

المشرف على الرسالة: أ.د.محمد خازر المجالي

يعنى هذا البحث بدراسة قصة شعيب –عليه السلام– في القرآن الكريم، ويسلط الضوء على الدلالات الواردة فيها، ليجلي المعاني الموضحة لقصة ذالك الرسول الكريم في كتاب الله تعالى، ومدى اصطباغ محاور السور القرآنية وظلالها على تلك الدلالات في مجالي العبادات والمعاملات، وما يستفاد منها من عبر وعظات، والمناظرة بأسلوب مقنع هادف، وما تتضمنه من أساليب بلاغية، في صورة متكاملة منسجمة المعاني، رصينة الألفاظ، متناسبة مع جو وظروف المواضع التي تدرسها السور التي وردت فيها، كما أنها تتلاءم مع نظيراتها من قصص الأمم التي تريد معها في نفس السياق، فتلتمس ما بينهما من التقارب في الألفاظ والأساليب، والوعد والوعيد، وبعض مطالب تلك الأمم لتقبل بما جاءت به رسلهم.

وتحتوي هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة؛ تناولت أهم الموضوعات المتعلقة بموضوع الرسالة، على النحوي التالي:

الفصل الأول: ورود قصة شعيب –عليه السلام– في سورة الأعراف.

الفصل الثاني: فتناول دراسة الدلالات الواردة في سورة هود وعلاقتها بقصة شعيب –عليه السلام–.

الفصل الثالث: على دراسة الدلالات الواردة في كل من سورة الحجر والشعراء والعنكبوت وعلاقاتها بمشاهد قصة شعيب –عليه السلام–.

Abstract

This research paper is concerned with the study of the story of the messenger SHOAIB peace be upon him. It sheds light on the implications that it contains to reveal the meanings being handled in the story of this respected messenger in the Holy Quran. The study measures to which extent the topics of the Quran Chapters reflect these very implications in terms of worships and treatments. This dissertation consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The chapters treated the main topics of the paper as following: the first chapter deals with the story of Shoaib in Surat of Aaraf, the second chapter, on the other hand, focuses on the meanings and significances that came in Surat Houd and its relations with the messenger's story, while the third chapter includes a study of the indications listed in Surat Al-Hijr, Al- Shoaraa and Al- Ankabout and their connections with the scenes of the story of Shoaib peace be upon him.

شكر وتقدير

اعترافا بالفضل لأهله والجميل لمسديه فإني أشيد بشكري الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم الأنصاري، على دعمه المتجدد، وإلى الأستاذ الدكتور محمد المجالي على ما بذله ولا يزال يبذله من جهد واجتهاد في نشر العلم والمعرفة، وأخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجبار سعيد الذي لا يتوانى في تقديم يد العون لكل طلاب كلية الشريعة، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الشكري الذي يتحفنا دائما بنصائحه النفيسة، كما لا يفوتني شكر كل من الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف، ومحمد آيدين وعبد الله الخطيب وإلى كل مشايخي الذين تعلمت على يديهم.

والشكر موصول أيضا إلى السيد جاسم سالم الأنصاري وإلى زميلي محمد دغلس، وإلى جميع من يشتغل داخل جامعة قطر، فالشكر يطول في هذا المقام والعبارات قاصرة عن الإحاطة، غير أني لا أملك إلا أن أسأل الله تعالى أن يشمل بعطائه الجم كل من أسدى إلى العلم وأهله ولو كلمة طيبة.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... هـ

المقدمة 1

تمهيد: سياق ورود قصة شعيب في القرآن الكريم 10

الفصل الأول ورود قصة شعيب في سورة الأعراف 15

المبحث الأول محور سورة الأعراف وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة شعيب عليه السلام 16

المطلب الأول بين يدي السورة..... 17

المطلب الثاني: محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام..... 21

المبحث الثاني أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف 31

المطلب الأول الأمر بعبادة الله والنهي عن التطفيف والفساد..... 32

المطلب الثاني النهي عن صد من سلك سبيل النجاة 51

المطلب الثالث انتظار حكم الله..... 60

المطلب الرابع التهديد بالطرد 63

الفصل الثاني ورود قصة شعيب في سورة هود 68

المبحث الأول ورود قصة شعيب في سورة هود 69

المطلب الأول بين يدي السورة 70

المطلب الثاني محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام 73

المبحث الثاني أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة هود 81

المطلب الأول استهزاء قوم شعيب عليه السلام بنبيهم..... 82

المطلب الثاني دعوة شعيب عليه السلام قومه بالحسنى 91

المطلب الثالث تهديد قوم شعيب عليه السلام نبيهم..... 100

المطلب الرابع وعيد شعيب عليه السلام قومه بالهلاك..... 107

الفصل الثالث ورود قصة شعيب –عليه السلام– في سورة الحجر والشعراء والعنكبوت..... 122

المبحث الأول محور سورة الحجر وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة شعيب عليه السلام 123

المطلب الأول بين يدي السورة 124

المطلب الثاني محور سورة الحجر وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام 127

المطلب الثالث أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الحجر 135

المبحث الثاني محور سورة الشعراء وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة [شعيب عليه السلام] 141

المطلب الأول بين يدي السورة..... 142

المطلب الثاني محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام 144

المبحث الثالث أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الشعراء 151

المبحث الثالث محور سورة العنكبوت وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة شعيب [عليه السلام] 160

المطلب الأول بين يدي السورة 161

المطلب الثاني محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام 163

المطلب الثالث أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة العنكبوت..... 169

قائمة المصادر والمراجع..... 181

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب محكما، ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على من بين أحكامه وقصصه ولم يذخر جهدا، وعلى آله الذين اقتفوا أثر هديه هدى، وعلى التابعين ومن انتظم في سلكهم إلى يوم تخر الجبال فيه هدّا. أما بعد؛

تعتبر الدراسات التي تعنى بدراسة الدلالات السياقة لموضوعات القرآن الكريم من أبرز الأدوات التي تسهم في تطوير الدرس القرآني، ورفع الاحتمال واللبس عن معانيه، إذ تخضع الألفاظ والتراكيب لمحك العرف اللغوي والاستعمال التداولي الذي يقبله اللسان العربي، أو يلفظه، بالإضافة إلى استحضار المعنى الكلي للسورة الذي يربط بين أطرافها، والظروف المحيطة بها من زمن النزول وأسبابه وسياق ورودها، دون إغفال مراعاة ما يتسم به الموضوع المدروس من الناحية الثقافية والعرفية والاجتماعية، وخصائص تلك الحقبة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بدراسة القصص القرآن الذي يتسم غالبا بالإيجاز، والتكرار لنفس القصة في سياقات مختلفة، بإضافات منوعة، ولفتات بليغة، تستهدف الجزئية المقصود، وبذلك يحتاج إلى دراسة مفصلة مجمعة لشتاته وجزئياته، لتعطي الصورة الكاملة المرسومة، وتجلي عبرها المنشودة، وحكمها المكنونة، وعظاتها المرومة.

جاء البحث ليوضح الدلالات الواردة في قصة شعيب –عليه السلام– في القرآن الكريم، في موضوع متماسك، معتمد على المعاني اللغوية، والقواعد النحوية، والأوزان الصرفية، واللفتات البلاغية، من لمسات بيانية، ومحسنات بديعية، تجلي مكانة بيان هذه الكلام المعجز، الذي أعجز الثقلين والفريقين من عرب ومن

عجم، وتستنبط منه دلالات جديدة، ومعان دقيقة، ممازجة بين ظلال سور القرآن الكريم ومحاورها الخاصة، لتخلص إلى مقاصدها العامة الشامخة.

أولا: فكرة البحث:

اعتمادا على المبدأ الأصيل في الإعجاز الذي يقول بأن القرآن الكريم: "جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، متضمنا أصح المعاني"[1] يحاول هذا البحث إظهار حسن النظم والتأليف وشدة التلاؤم الذي حيكت به قصة شعيب –عليه السلام– وذلك من خلال دراسة السياقات التي وردت فيها في كل سورة من سور القرآن الكريم، والدلالات السياقية التي يمكن استنتاجها منها، وذلك في محاولة لإثبات دور ربط قصص الأنبياء المذكور في القرآن الكريم بسياق السورة الذي ورد فيه، مع مراعاة نسق قصص الأنبياء الآخرين الذين تم ذكرهم في نفس السورة، وما يتجلى في ذلك من اعتماد كل سورة على جانب معين مقصود من جوانب قصص تلك الأقوام، وما يترتب على ذلك من فوائدة جامة تعطي الصورة العامة عند جمع تلك الجوانب كلها في دراسة مفصلة، توفير النموذج الحي الذي على الأمة سلك سبيله، ولاسيما الدعاة الذين يخاطبون أقواما تعددت ثقافاتهم وعقلياتهم، وكيفية اقناعهم بالطريقة المثلى.

إشكالية البحث وأسئلته:

---

[1] الرماني، الخطابي، الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول، (مصر: دار المعارف، ط3، د.ت) ص 27.

يحاول هذا البحث حل إشكالية تحديد وبيان سياقات ورود قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم، بغية إدراك إجابات الأسئلة التالية:

ما مواضع ورود قصة شعيب عليه السلام في سور القرآن الكريم؟

ما دور السياق في الكشف عن علاقة كل مشهد من قصة شعيب عليه السلام بالموضع الواردة فيه؟

ما دلالات ورود قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم؟

ما الدروس المستنبطة والثمرات المستفادة من قصة شعيب عليه السلام؟

ما المشكلات التي تطرحها قصة شعيب عليه السلام؟

ما أبرز ما اختلف فيه المفسرين في تحدد المقصود في قصة شعيب عليه السلام؟

ما الجوانب الاجتماعية البارزة التي ركزت عليها دعوة شعيب عليه السلام؟

ما الجوانب التعبدية والعقدية التي انطلقت منها رسالة شعيب عليه السلام؟

لماذا وردت قصة شعيب عليه السلام فقط في السور المكية؟

أهداف البحث:

كتبت فصول هذا البحث ومباحثه ومطالبه لتحقيق الأهداف الآتية:

1. إبراز دور السياق في تعيين المراد من النص القرآني، وإثبات أهميته في تفسير قصص الأنبياء.
2. تتبع المواضع التي ورد فيها ذكر قصة نبي الله شعيب عليه السلام في القرآن الكريم.

3. إثبات وظيفة السياق القرآني في الكشف عن علاقة كل مشهد من مشاهد قصة شعيب عليه السلام بالمواطن التي ورد فيها، وربطه بالجو العام للسورة التي ورد فيها.

4. إيضاح دلالات المفردات والألفاظ والتراكيب التي تضمنتها قصة شعيب عليه السلام.

5. استنباط ما يتجلى في قصة شعيب –عليه السلام– من مواعظ وفوائد وحكم دعوية، ولفتات خطابية إقناعية، وطول النفس الذي يملكه في الدعوة بالحسنى، وما يتحلى به من الصبر والتحمل، والمواقف التي تطل علينا من قصته.

6. عرض صورة واضحة من القدوات النبوية للمربين، والساسة والحكام، والأفراد.

7. دراسة الأسلوب الإقناعي الذي تتميز به قصة شعيب –عليه السلام– واحترامه وتقديره لقومه رغم ما يستفزونه به من أسلوب استهزائي.

أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه:

تحدد أهمية هذا البحث وقيمته العلمية عدة عناصر، منها:

أولا: الفائدة العلمية التي تثبت أهمية دراسة القصص القرآني في ظروف المحيطة بالسورة، وربطه بما يرد في تلك السور من قصص وأحداث أمم أخرى، مع استحضار زمن النزول وسببه.

ثانيا: ورود محاولات تفسيرية سعت إلى دراسة النص القرآني بمعزل عن سياقه، وما يكتنفه من ظروف، وفتح المجال للعقل للبث فيها، ودراستها بما يقتضيه المجال التاريخي والعمران البشري.

ثالثا: ما في هذه الدراسات من الردود على الدراسات التي تزعم أن القرآن الكريم يتسم بالتكرار بلا فائدة، حيث يتضح عند دراسة قصص الأنبياء أن كل سورة تدرس جانبا معينا من القصة لدوافع معينة يقتضيها المقام، أحيانا يأتي الخطاب بأسلوب لين وأحيانا بخطاب غليظ، ليجمع بين البشارة والنذارة، وليس هناك تكرار أو زيادة أو نقصان خال من فائدة، فمن لم يدركها فالقصور منه هو.

رابعا: أن هذه البحوث تطعن في النظريات التي تدعي أن قصص القرآن الكريم فيه تضارب وتناقض، فما يثبته في سياق سابق، يهدمه في سياق لاحق، وتظهر تزييفها عند المقارنة بين نصوص تلك القصص التي لا تتعارض مع بعضها ولا مع عموم ما جاءت به الديانات السماوية.

خامسا: ما يتجلى في هذه القصة من فوائد اجتماعية واقتصادية يستفيد منها الفرد والجماعة عند تدبر هذه القصة، التي تبقى شاهدا واقعيا على وضع البشرية، ويستفاد منه في تأسيس المجتمع الإسلامي المثالي، اقتداء بمن اختارهم الله من خلقه للدعوة إليه.

حدود البحث:

سيلتزم هذا البحث بالحديث على مشاهد قصة نبي الله شعيب –عليه السلام– وحسب، من خلال ورودها في خمس سور قرآنية (الأعراف، هود، الحجر، الشعراء، العنكبوت).

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو:

1. المنهج الاستقرائي، لحصر واستعراض النصوص القرآنية من خمس سور وردت فيها قصة شعيب عليه السلام.

2. المنهج الوصفي، لوصف الألفاظ التي وردت في الآيات.

3. المنهج التحليلي (الاستنباطي) لاستخلاص الدلالات والمعاني من الآيات المدروسة.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

بالنظر في الدراسات السابقة لم أعثر على دراسة تجمع بين العناصر التي يدرسها هذا البحث؛ وتلقي الضوء على ورود قصة شعيب عليه السلام في القرآن الكريم بطريقة تربط بين القصة بتفاصيلها ومحور كل سورة وردت فيها، ثم تستخرج باقة متكاملة من الدلالات السياقة المستنبطة منها في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، والتربوية، والعقدية، والدعوية.

سبقتنا بعض الدراسات فقط في الجزء الأول الذي يعنى به هذا البحث، لكنها عن أنبياء آخرين، ولم يشمل أي منها شعيبا عليه السلام، مثل:

1. (الدلالات السياقية للقصص القرآني، قصة موسى عليه السلام أنموذجا)، من إعداد: بوزيد رحمون، في السنة الدراسية2011/2010م وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير من كلية الآداب واللغات بجامعة فرحات عباس في الجزائر. تناولت دراسته الدلالات السياقية للقصص القرآني من خلال اتخاذ قصة موسى عليه السلام أنموذجا، وقامت على تحليل الدلالات وبيان تخريجات الألفاظ حسب سياق ورود القصة في القرآن، ليكون تحليل السياقات والمواقف لبيان معاني المفردات هو الهدف الرئيس للبحث.

2. (المعايير السياقية في قصة الأنبياء آدم وإبراهيم وعيسى عليهم السلام)، كتبها دلخوش جار الله دزيي، لجامعة صلاح الدين بأربيل – كردستان العراق، سنة 2015م، وسعت هذه الدراسة لبيان المعايير

السياقية في الخطاب القرآني وخصت بالبحث والدراسة الخطاب الموجه إلى الأنبياء، عن طريق دراسة تلك المعايير في قصة الأنبياء آدم وإبراهيم وعيسى عليهم السلام، وذلك لنفي ما يراه البعض من ظاهر القرآن أنه مفكك لا تنظمه أية واحدة، ولتأكيد وحدته وتفرد إعجاز بتنسيق من نوع خاص، وذلك بالاستدلال بقصص الأنبياء المتماسكة المتناسقة التي يبينها السياق بوضوح.

3. (الدلالات السياقية لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم)، للطالبة ناهد إبراهيم السليطي، وهي رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة بجامعة قطر، سنة 2021م، سلطت الباحثة الضوء فيها على ورود قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم وما يتجلى فيها من معاني، وعلى الدلالة السياقية الواردة فيها من الجانب العقدي، والدعوي، والخلقي، والتربوي، ويلاحظ على البحث انشغال جزء كبير منه بتعريف مصطلحات البحث.

4. (الدلالات السياقية لقصة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم)، للطالبة مرام عماد حنفي عبد الفضيل موسى، وهي رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة بجامعة قطر، سنة 2021م، سلطت الباحثة الضوء فيها على قصة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم وما يتجلى فيهما من معاني، ودلالات سياقية، وعلى الفوائد المستنبطة منها من الجوانب التالية: العقدي، والدعوي، والخلقي، والتربوي، وهي كسابقتها يلاحظ عليها أنها انشغلت في مستهلها بتعريف الدلالات وأنواعها، والسياق وأنواعه وغيرها.

5. الدلالات السياقية لقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، لرشوان، هاجر مصطفى أحمد محمد، إلا أن الدراسة أسهبت كثيرا في تعريف القصة والسياق والدلالة، وركزت كثيرا على الجانب الدعوي، وميزتها

أن فصلت في الظروف التي نزلت فيها الآية المتعلقة بسيدنا إبراهيم –عليه السلام– سواء في العهد المكي أو المدني.

6. الدلالات السياقية لقصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم، لعلي، أماني الوليد محمود، وركزت هذه الدراسة كثيرا على الدلالات الدعوية والدعوية والتربوية والأخلاقية، في السور التي ذكرت فيها قصة قوم لوط، وهي ثمان سور وهي: الأعراف، والحجر، وهود، والشعراء، والنمل، والعنكبوت، والصفات، والقمر.

واهتمت دراسات أخرى بقصة شعيب عليه السلام بشكل عام، لكنها كانت تدرس جزءا منها في كل سورة واحدة فقط أو آيات محددة، وهي عديدة لكن اختصارا نذكر منها:

1. (أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام) لتهاني سالم باحويرث، وهي رسالة مقدمة لنيل الماجستير بجامعة أم القرى، سنة 2008م، وركزت الباحثة على التشابه اللفظي الوارد في قصص الأنبياء المذكورين، وأثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي.

2.(القيم الحضارية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام ـ دراسة قرآنية .) لزكريا علي الخضر، وهو بحث موجز، نشر في دار المنهل 2016م، وركز فيه الباحث على الجوانب المالية، التي تدرسها قصة شعيب – عليه السلام– مثل التطفيف والبخس وتأثيرها السلبي على المجتمعات.

3. (جوانب الفساد في قصة شعيب عليه السلام مع قومه وإصلاحها دراسة قرآنية موضوعية) لإيمان تميم محمد العدناني، وهي رسالة دكتوراه قدمت في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، سنة 2015م، تتبعت الباحثة مصطلح الفساد في القرآن الكريم، وربطه بالفساد المالي والاعتقادي عند قوم شعيب.

لكن هذه الدراسات بعيدة عن الموضوع الذي نحن بصدده، لأنها لم تسلط الضوء على الدلالات السياقة واللغوية والمقامية والحالية التي هي محور موضوعنا، وإن كانت متشاركة في دراسة قوم شعيب –عليه السلام– لكن من زوايا متنوعة ورؤى مختلفة.

تمهيد: سياق ورود قصة شعيب في القرآن الكريم

قبل خوض غمار موضوع الدلالات السياقية في قصة شعيب –عليه السلام– سأعرج[1] على تعريف الدلالة والسياق.

أولا: الدلالة: هي لغة مأخوذة من: (دل) وأرجع ابن فارس معناها إلى أصـــلين: أولهما إبانة الشـــيء بأمارة تعلمه، وذلك نحو أن تدل شخصا على الطريق، وثانيهما الاضطراب في الشيء إذا تدلدل فيه[2].

واصـطلاحا تختلف من علم إلى علم، وقد عرفها أهل الأصـول بأنها: "كون الشـيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشـيء آخر، والشـيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[3] وهذا التعريف يبرز لنا أهمية الألفاظ في إيصال المعنى المقصود بالطريقة الصحيحة للمتلقي، فكل لفظ يلزم منه فهم معنى مدلول بالضرورة، وهذا المعنى تكتنفه قرائن حالية ومقالية تســاهم في حصـــر المعنى الذي يســـتهدفه المتكلم، ليرفع عنه الاحتمال والالتباس، ليصل إلى المخاطب بشكل سليم، وبناء عليه تنقسم الدلالات إلى:

---

[1] الدراسات التي سبقت هذه الدراسة في المشروع استفاضت في تعريفها، ينظر **الدلالات السياقية لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم**، ناهد إبراهيم عبد الرزاق الســليطي، جامعة قطر، 2021، ص10 –54، **الدلالات الســياقية لقصـــة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم**، مرام عماد حفني عبد الفضيل موسى، جامعة قطر، 2022م، ص 14– 29.

[2] ينظر ابن فارس: أحمد، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، (دار الفكر، د.ط، 1979م) ج2، ص259.

[3] الجرجاني: علي بن محمد السيد، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ط، 2004م) ص91.

1. دلالات لغوية: وهي التي تؤخذ معانيها من المعاجم اللغوية، والأوجه التي تستخدم فيها سواء على وجه الحقيقة أو المجاز، وذلك بالرجوع إلى جذر الكلمة، واستقراء مواردها في الكلام العربي، ويطلق عليه المعنى القاموسي أو الدلالي[1].

2. دلالات غير لغوية: وهي بمثابة تكملة للتي قبلها، فبعد تحديد معنى جذر الكلمة من المعجم الذي يستعرض دلالاتها المختلفة، يأتي دور السياق في تحديد المعنى الذي يطابق المقام حسب السياق والقرائن المحيطة به، فتفسر اللفظ في معرض الكلام الذي وردت فيه والظروف المحيطة به[2].

وتقسم الدلالات إلى أنواع متعددة باعتبارات حسب كل علم وفن، فقسموا الدلالة اللفظية وغير اللفظية إلى: عقلية ووضعية وطبيعية، وقسموا الدلالة الوضعية إلى: دلالة التطابق والتضامن والالتزام، قال الأخضري:

دلالة اللفظ على ما وافقه يدعونها دلالة المطابقة

وجزئه تضمنا وما لزم فهو التزام إن بعقل التزم[3]

---

[1] ينظر الخولي: محمد علي، **علم الدلالة (علم المعني)**، الأردن: دار الفلاح، د.ط، 2001)، ص11.

[2] الخولي، **علم الدلالة (علم المعنى)**، ص 69.

[3] الأخضري: عبد الرحمن بن محمد، **متن السلم المنورق في علم المنطق**، (القاهرة: دار السلام، دم، 2023م) ص5.

ثانيا: السياق، وهو لغة مأخوذ من (السوق) وأرجع ابن فارس معناه إلى أصل واحد، وهو السوق والحدو، وسمي السوق بذلك لأنه يساق إليها كل شيء[1].

واصطلاحا: عرف بتعارف شتى، كلها تبدأ من نفس المنطلق الذي هو المحيط اللغوي الذي ترد فيه الكلمة أو الجملة، وما يؤطر ذلك من عناصر أخرى خارج اللغة، لذا قيل: هو "علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي"[2].

أما السياق القرآني فعند التعمق والنظر فيما قيل فيه تجده مرتبطا من جهة بعلم المناسبات، الذي عرفه البقاعي بأنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه –أي القرآن الكريم– وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال"[3]، ومن جهة أخرى بنظرية النظم التي قال بها الجرجاني، وعرفها بقوله: "واعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[4]

---

[1] ينظر ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج3، ص117.

[2] بيبية، علية، **السياق ودلالته في القصص للقرآني قصة موسى أنموذجا**، (الإمارات العربية المتحدة، دار العرب، دار نور حوران، د.ط، 2017.

[3] البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1987م) ج 2، ص 142.

[4] الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط3، 1992م) ص81.

فيتضح لنا من خلال هذه التعريفات أنها ركزت على شيئين: مراعاة العرف اللغوي المعجمي والتركيب النحوي، مع مراعاة ما تقتضيه أحوال المتخاطبين، وقد تفطن الشاطبي إلى مسألة قراءة الكلام في السياق الذي ورد فيها، وما يترتب على بطره في سياقه من تحريف وتشويه بعبارة نفيسة أحببت أن أورها كما هي، حيث قال: "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ وإلا صار ضحكة وهزءة ألا ترى إلى قولهم فلان أسد أو حمار أو عظيم الرماد أو جبان الكلب وفلانة بعيدة مهوى القرط وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

وقد يراعي المفسرون سياق الشريعة وسياق السورة والآية، وظروف النزول، كما سيظهر عند ابن عاشور عند ترجيحه للفترة التي نزلت فيها سورة هود، وعند غيره من المفسرين كما سيتضح في دراسة دلالات قصة شعيب –عليه السلام– الذي ورد اسمه في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وذكرت قصته مفصلة في خمس سور كلها مكية، بأساليب مختلفة وألفاظ منوعة، وبطرق متباينة قصرا وإيجازا، حذفا وذكرا، تقديما وتأخيرا، كما ورد ذكر اسم مدين عشر مرات، في ست سور، إلا أن أغلبها في سياق قصة موسى عليه السلام إلا موضع سورة التوبة، وورد اسم أصحاب الأيكة أربع مرات في أربع سور، وفقا للآتي:

1. السور التي ذكرت فيها قصة شعيب بشكل مفصل:

---

[1] الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، ط1، 1997م) ج3، ص419–420.

أ. سورة الأعراف: من الآية (85 إلى 93).

ب. سورة هود: من الآية (84 إلى 95).

ج. سورة الشعراء: من الآية (176 إلى 191).

د. سورة العنكبوت: من الآية (36 إلى 37).

2. السور التي ذكر فيها ما يشير إلى مدين أو الأيكة باختصار:

أ. سورة التوبة: الآية (70).

ب. سورة الحجر: من الآية (78 إلى 79).

ج. سورة ص الآية (13).

ج. سورة ق الآية (14).

الفصل الأول

ورود قصة شعيب في سورة الأعراف

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: محور سورة الأعراف وأسلوبه وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

المبحث الثاني: أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف

المبحث الأول

محور سورة الأعراف وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة شعيب عليه السلام

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بين يدي السورة.

المطلب الثاني: محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام.

المطلب الأول

بين يدي السورة

عرفت هذه السورة باسم الأعراف منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما ورد في الحديث[1]، وسميت بذلك نظرا لورود قصة أصحاب الأعراف فيها دون غيرها من سور القرآن الكريم تصريحا في ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى: {وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ} [الأعراف: 48] ومعهود عند العرب تسمية الشيء ببعض أجزائه الغريبة أو النادرة التي يتميز بها عن غيره، من باب إطلاق البعض على الكل، أو تسمية الشيء ببعض أجزائه، قال الزركشي: "ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء"[2].

وذكر الفيروز آبادي أنها تسمى أيضا بسورة الميقات[3]، لورود ذكر ميقات موسى –عليه السلام– فيها، عند قوله تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا} [الأعراف: 143]، كما تسمى أيضا بسورة الميثاق[4]،

---

(1) ينظر ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984م) ج 8 ب، ص5.

(2) الزركشي: بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: دار المعرفة، ط1، 1957م) ج1/ ص270.

(3) الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن بعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1996م) ج1، ص203. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7ب، ص6.

(4) المرجع السابق.

لاحتوائها على حديث الميثاق، عند قوله تعالى: {وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ} [الأعراف: 172].

وسورة الأعراف مكية كلها[1]، وقيل مكية إلا قوله تعالى: {وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ} [الأعراف: 163] نزل بالمدينة، وقال مقاتل: من قوله تعالى: {وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} إِلَى قَوْلِهِ {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذرياتهم} [الْأَعْرَاف: 172] نزل بالمدينة[2]، والأول هو الراجح، لأن أغلب من ذكر القول الثاني أورده بصيغة التمريض، بل حكى الفيروز آبادي الإجماع عليه[3].

---

(1) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تفسير غريب القرآن**، تحقيق أحمد صقر، (لبنان: دار الكتب العلمية، د. ط، 1978م) ص 165.

(2) ينظر الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدور الحمد، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1994م) ص 155. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ) ج2، ص372. ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ) ج2، ص 100. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ) ج2، ص85. البيضاوي: أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ) ج3، ص5. ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، **التسهيل في علوم التنزيل**، تحقيق عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن بني الأرقم، ط1، 1416هـ) ج1، ص284.

(3) ينظر **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص 203. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م) ص 38. النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد، **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي الصابوني، (مكة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ) ج3، ص5. مكي بن طالب: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، تحقيق أحمد حسن فرحات، (جدة: دار المنار، ط1، 1986م) ص 291. النسفي: أبو البركات عبد

موضوعات السورة: افتتحت سورة الأعراف بتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتقويته على ما ناله من أذى الذين يكذبونه فيما جاء به، وذكرت وزن أعمال العباد يوم القيامة، فذكر خلق آدم ووسوسة الشيطان له ليأكل من الشجرة، وإحجام إبليس عن السجود له، والأمر باتخاذ الزينة وستر العورة عند كل صلاة، ثم الرد على الجاحدين المكذبين، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإظهار هوان الكفار وذلهم في جهنم، ومناظرة بعضهم البعض، وقنوطهم من ولوج الجنة، ومناداة أهل لظى وأصحاب المأوى، واستغاثة أصحاب الأعراف، ومناداتهم كلا الفريقين، فحجة وحدانية الله تعالى، والبرهنة على ذاته وصفاته العلى، فحكاية قصة نوح والطوفان، وذكر قصة هود وهلاك قومه عاد، وقهر ثمود قوم صالح، ونبأ لوط لقومه، وخبر شعيب وأهل مدين، وتفصيل مستفيض دقيق لأحوال موسى مع فرعون وسحرته، وذكر المعجزات التسع التي أوتيها موسى، ومخاطبته لهارون وخلافته له، والميقات، وحادثة عجل السامري، ورجوع موسى إلى قومه، وذكر النبي الأمي الذي ذكرت صفاته في العهدين القديم والجديد، والإيماء إلى الأسباط، وقصة أهل السبت، وأصحاب أيلة، وذم رجال الدين من أهل الكتاب، ونبأ الميثاق ومعاهدة الله تعالى ذرية بني آدم، وذكر حظ جهنم من الجن والإنس، وترويع الخلق بقرب يوم التلاقي، وأنه لا يُظهر على علمه أحدا من العالمين إلا من ارتضى، وخبر صحبة آدم وحواء لأول وهلة، وثلب عباد الأصنام، وأمر محمد –صلى الله عليه وسلم– بمكارم الأخلاق من العفو

الله ابن أحمد بن محمود، تحقيق يوسف علي بدوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1998م) ج1، ص 554. ابن عاشور، التحرير والتنوير، 8ب، ص6.

عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، ووصل من قطعه، وأمر الورى بالإنصات لقراءة القرآن الكريم والذكر، والإخبار عن انقياد وخنوع الملائكة المكرمين لأوامره ولزوم تسبيحه وسجوده[1].

[1] ينظر الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص205. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 8ب، ص 7-9. مسلم: مصطفى، وآخرون، **التفسير الموضوعي**، (جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 2010م) ج 3، ص 8.

المطلب الثاني:

محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

يعتبر محور السورة هو الخيط الذي يربط بين أجزاء السورة والموضوعات التي تدرسها، لكن يختلف إدراك هذا العمود من مفسر لآخر، كل حسب ما قاده إليه اجتهاده، أو حسب المنهج الذي سلكه، وسأتناول آراء بعض المفسرين لأجل المقارنة بينها، محاولا التنوع من حيث الزمان.

أ. البقاعي: يرى أن عمود سورة الأعراف هو إنذار المعرضين عما دعا إليه القرآن الكريم في سورة الأنعام السابقة، من التوحيد الجامع لكل أنواع الكمال والجلال، المظهر لعظمة البارئ جل جلاله؛ لما ارتبط بهذه الوحدانية من إيجاد من عدم دون سابق عهد، وما تؤول إليه هذه الموجودات من فناء واندثار، وما يترتب على ذلك من إحياء وبعث ونشور[1]، وحذر الأنام من قوارع الدارين، وحثهم على التعاون على الوفاء والخير الذي دلل عليه في سورة الأنعام[2]، وربط البقاعي هذا العمود بما تطرقت إليه السورة في مستهلها من موازن القسط يوم النشور {وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ} [الأعراف: 8-9] وأكدته عند قوله تعالى: {وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ} [الأعراف: 46] بذكر أصحاب الأعراف المطلين على الجنة والنار، المطلعين على

---

[1] ينظر البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت، د. ط) ج 7، ص 1.

[2] ينظر البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج 2، ص 130.

حقيقة وصدق ووفاء ما وعد الله به عباده من نعيم أو سعير، مما يفضي إلى امتثال كل خير واجتناب كل شين وحيف[1].

ب. الفراهي: حدد محور سورة الأعراف باختصار شديد، في إنذار أهل القرى، ووعيدهم بالهزيمة النكراء، وانتصار الحق على الباطل الزاهق[2]، قائلا: "تنذر أهل القرى وتوعدهم بالهزيمة وغلبة الحق"[3]

ج. محمد رشيد رضا: ربط محور هذه السورة بأصول العقائد وكليات الدين، واعتبرها بمثابة الشرح والتفصيل لما أجمل في سورة الأنعام –لاسيما وأن السورتين مكيتان– من عموم بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصص الرسل قبله[4]، وأحوال أقوامهم، ولخص هذه الأصول في ستة أبواب:

1. التوحيد.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج 7، ص 347.

(1) ينظر: الفراهي: عبد الحميد الهندي، **دلائل النظام** (المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ) ص 94.

(2) المصدر نفسه.

(2) ينظر رشيد رضا: شمس الدين محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار** (القاهرة: دار المنار، ط 2، 1947م) ج 8، ص294.

2. الوحي، وما يتعلق به من الكتب الرسل والرسالات.

3. الآخرة وما فيها من بعث وجزاء.

4. أصول التشريع وبعض قواعده العامة.

5. سنن الله في الخلق والتكوين.

6. سنن الله في المجتمعات والأمم والعمران البشري[1].

د. سيد قطب: صرح في تمهيده لهذه السورة بأن محورها هو العقيدة كما هو الشأن بالنسبة لسابقتها –سورة الأنعام– التي ركزت على جوهر العقيدة وحقيقتها، بينما تعالج سورة الأعراف العقيدة من المنظور التاريخي الممتد، المعتمد على دراسة التحولات التي عرفها التاريخ البشري وما طرأ عليه من تحولات، منذ آدم –عليه السلام– وزوجه، ومحاولة الشيطان إغوائهما وذرياتهما ليركنوا إليه، وظل سياق السورة يتقصى أفواج الأنام فوجا فوجا، إما إلى السعير وإما إلى النعيم، فريقا هدى وفريقا حقت عليه الشقاوة، ويواصل محاكاة صراع قوى الحق والباطل، والضلال والهدى، ومشاهد من معارك الجاهلية، ومواقف لأناس أحياء كانوا يبارزون هذا القرآن، ويقذفهم بقصص طويلة، بدءا بآدم ومرورا على قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط،، وشعيب، مركزا على قصة موسى عليه السلام، توجيها لهم بما فيها من عبر عظيمة، وعظات ثمينة، مذكرا لهم بالنعيم، ومنذرا لهم من السعير، كل ذلك بأسلوب تقريري هادئ، وإيقاع صوتي سهل[2].

---

[1] المرجع السابق، ج 9، ص 559.

[2] ينظر سيد قطب: إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1972م) ج2، ص 1243 – 1246.

هـ. ابن عاشور: أرجع مقاصد هذه السورة إلى محور النهي عن الشرك وإنذار المشركين وتذكيرهم بأمور منها:

1. النهي عن الشرك بالله تعالى، وإنذار المشركين بالعواقب الوخيمة التي تنتظر صاحب هذا الجرم في الحال والمآل، ووصف ما حل بالمشركين في العاجلة قبل الآجلة.
2. تذكير البرية بما أنعم عليهم من نعم منها: خلق الأرض وتمكينهم منها، وتسخيرها لهم وما فيها من قوى، وذلل لهم الكون وما فيه من ظواهر، وكذلك تفضليهم على كثير ممن خلق من كائنات وجمادات تفضيلا، وما نشأ من عداوة جنس الشيطان الرجيم للنوع البشري.
3. تحذير الأنام من التلبس بوساوس الشياطين وتصديق ما تسوله لهم من وهم، وحرمان أنفسهم من الطيبات، والتذكير بالبعث وبسط أدلته، ووصف ما حل بالمجرمين فيه من أهوال، وما نال المتقين فيه من آلاء ونوال.
4. النهي عن الفساد في الأرض التي أوجدها الله لصالح عباده، والتذكير ببدائع صنعه لأجل اصلاحها وإحيائها.
5. التذكير بما فطر عليه الإنسان من قبول الرسالات، ودعوة الرسل إلى الصلاح والفلاح، وبسطت في أحوال الرسل مع أممهم، وما عانوه مع المشركين من عناد وعتاب وعذاب، وإنذارهم من الاغترار بما جرت به سنة الله من إمهال الأنام لعلهم يتعظون، وأن العذاب المستأصل بعد الإنذار والإمهال، يأتي بغتة دون إهمال[1].

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 8 ب، ص 8-9.

و. موسوعة التفسير الموضوعي: أرجع هذا المصدر محور سورة الأعراف إلى موضوع العقيدة والتوحيد، عبر مراحل البشرية، وحسب تسلسلها الزماني وتطورها التاريخي، منذ بدء الخليقة ابتداء بآدم وزوجه، وما حصل لهما من إغواء ووسوسة من قبل الشيطان اللعين، ليخرجهما من جنة النعيم، وينزل بهما إلى أرض المستقر والمتاع، وتستمر عداوته ومعركته مع بني آدم، لينجو الفائزون منهم على اللعين من دار البوار، ويعودوا إلى أصل أبويهم في دار القرار، لينتقل سياق السورة بعد ذلك إلى قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، بدءا بحكي قصة نوح مع قومه، وخبر هود وصالح، ونبأ لوط وشعيب، ثم قصة موسى مع قومه بني إسرائيل الذين فصلت فيهم السورة تفصيلا، ومحاولته غرس الإيمان في نفوسهم، وتطهيرها من أدران الشرك، وتذكيرهم بالميثاق الذي أخذه منهم ألا يعبدون إلا الله، لتختم السورة بذكر خاتم الأنبياء والمرسلين، والإنصات لما أنزل عليه من الآيات المعجزة، بحضور القلب وخشوع البصر، وخضوع الجوارح[1].

ز. طهماز: أكد على أن عمود هذه السورة رغم طولها، وتطرقها لعدة مواضع، واشتغال الحيز الكبير منها على تاريخ البرية وأخبار الحضارات البائدة وقصص الأمم الغابرة، وعرضها المحرك الرئيس لأحداث التاريخ البشري المتمثل في الصراع بين الخير المتمثل في دعوة الأنبياء، والشر الذي يمثله الشيطان وقرناؤه، وسردها للسنن الإلهية التي بها تسود الأمم وتزدهر أو تنهار بها وتندثر، وفصلت في القوانين المثالية التي على أسسها تبنى الحضارة الإنسانية العادلة، حضارة الإيمان والسلام والعدل، بيد أن هذه المواضع كلها تخدم

---

[1] ينظر مسلم، مصطفى، وآخرون، موسوعة **التفسير الموضوعي**، (الإمارات العربية المتحدة: جامعة الشارقة، ط1، 2010م) ج 3، ص 4- 6.

موضوعا واحدا يبدو جليا بين ثنايا السورة يربط بين أجزائها[1]، ألا وهو "بيان الأسباب الرئيسة الكبرى لهلاك الأمم وسقوط الحضارات"[2] ولخص هذه الأسباب في النقاط الآتية:

1. الانحراف عن الفطرة الاعتقادية التي فطر الله الناس عليها، والتلكؤ عن الشريعة وأحكامها.
2. الانحراف عن الفطرة في العلاقات الجنسية والنزوع نحو الشذوذ.
3. البطر والغرور بالقوة والطغيان.
4. الجشع والطمع ونهب حقوق الغير.
5. الاستبداد والجور وتحكم الطائفة الفاسدة في إدارة الحكم وتولي السلطة، وموالاة العامة لهم.
6. جمود المشاعر، وخمول المدارك، بسب البذخ والانغماس في الشهوات والملذات المادية الزائلة.
7. التجرد من الشعور بروح المسؤولية وإنكار يوم البعث والحساب[3].

ح. **مناقشة الآراء السابقة:** يبدو للناظر في وجهات نظر هؤلاء المفسرين أنها تتفق على أن السورة تدرس موضوع العقيدة والتوحيد، الذي يعتبر العنصر المحوري للسور المكية، ويؤيد هذا المبدأ ما ورود في السورة من

---

[1] ينظر: طهماز: عبد الحميد محمود، التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم، (دمشق: دار القلم، ط2، 2014م) ج3، ص8.

[2] المصدر نفسه.

[3] المرجع السابق، ج3، ص7-8.

قصص كثيرة تجسد معاناة الأنبياء السابقين مع أممهم، تسلية وتقوية للنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– على ما ناله في تلك المرحلة من أذى، ولحقه من ضرر وجور، وتعرض له من تعذيب وتهجير، إلا أن البقاعي ورشيد رضا وسيد قطب ربطوا عمود هذه السورة بعمود سابقتها التي هي سورة الأنعام المكية أيضا، والتي تعالج بدورها موضوع العقيدة والتوحيد، والسبب الذي جعلهم يربطون بين عمود السورتين في رأيي –والله أعلم – إلمامهم واهتمامهم بعلم المناسبات عموما، والمناسبة بين السور على وجه الخصوص، إلا أن البقاعي جعل مفتاح ما ذهب إليه – من التوحيد والبعث– هو ما ورد في السورة من ذكر موازن القسط يوم القيامة، وموقف أصحاب الأعراف، لأن هذه الأحداث كلها ستقع بعد البعث والنشور، الذي كذب به أهل مكة، وتصديق تلك الأحداث يقتضي اعتقاد وحدانية الله وقدرته على إعادة الخلق كما بدأه أول مرة وهو أهون عليه، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من براهين معجزة وآيات صادقة محكمة. في حين نجد أن رشيد رضا جعل السورة بمثابة الشرح والتفصيل لما أجمل في سورة الأنعام من عموم البعثة وقصص الرسل، إلا أنه درس تلك الموضوعات بمنظور ما استجد في عصره من علوم إنسانية، فأجاد في دراسة العمران البشري، وإصلاح المجتمع، مستنبطا ذلك من سنن الله في الذين خلو من قبل، التي لا تبديل لها، من الأمم التي ذكرتها السورة، وأفاد فيما توصل إليه من أصول الشريعة ومقاصدها. أما سيد قطب كما تقدم ربط السورة بموضوع سابقتها – الأنعام– التي تتمحور حول جوهر العقيدة وحقيقتها إلا أن الأعراف تناولت الموضوع من منظور تاريخي، اعتمادا على تقديم نماذج حضارية منذ آدم إلى خاتم المرسلين، وهذا الجانب الذي فطن إليه سيد قطب ميزه عمن سبقه من المفسرين، وله أثر جلي فيمن أتى بعده من أهل هذا الشأن. ونظر ابن عاشور إلى محور هذه السورة من زاوية أصولية مقاصدية، مركزا على النهي عن الشرك وعقباه، والتحذير من الشيطان وغوائله، والنهي

عن الفساد في الأرض بعد إصلاحها، والتذكير بمقاصد البعث والنشور، وتسخير الأرض وما عليها للبشر، وتهيئه الخلق لقبول الرسالات، والتذكير بآلائه التي لا تعد ولا تحصى. ووافق في هذا الرأي الفراهي.

أما موسوعة التفسير الموضوعي، فيما يبدو لي –والله أعلم– استفادت من المفسرين السابقين حيث استحضرت الجانب العقدي الذي ذكره البقاعي ورشيد رضا، ودرسته من المنظور التاريخي الذي لمح إليه سيد قطب. أما طهماز فقد ركز على الأسباب الكبرى التي تؤدي إلى هلاك الحضارات واستئصالها، مركزا على الانحرافات الجنسية والاعتقادية، والاعتداد بالقوة والجاه، والحرص على الجوانب المادية، والتجرد عن المسؤولية والمصالح العامة.

بعد استعراض هذه الأقوال يمكن الاستفادة منها جميعا وصياغة محور قاطف من ثمارها آخذ من رحيقها، يترجح لدي ما ذهب إليه سيد قطب، وبناء عليه سأصوغ محورا جمع بين الآراء السابقة، فأقول: إنها تصف الصراع الكامن بين الحق والباطل منذ آدم وحواء وإبليس في الجنة، واستمرار هذا الصراع بعد النزول إلى الأرض، وظل الأنبياء والرسل يدافعون عن صراط النور، واستمر الشيطان يكابدهم عبر السيرورة التاريخية في كل مكان، ويجيش لهم حشودا من أهل الظلام، وضربت السورة أمثلة منوعة في أزمنة مختلفة لهذا التدافع في الدنيا –يمثله قصص الرسل المذكورة مع أممهم – وفي الآخرة يشهد له استغاثة أهل النار أهل الجنة، وختمت بذكر مصير هؤلاء المشركين الذين هم أضل من الأنعام وأصم من الأحجار، ونعيم الأمة التي تهدي إلى الحق وتعدل به، واستمرت في ذلك حتى يأتي وعد الله، وذكر من علامات قوى الشرك أنهم لا يسمعون للهدى، ولا ينظرون للحق ويستنكفون عن العبادة، ومن علامات أهل الفلاح التفطن لوساوس الشياطين، والخشوع عند سماع آيات الرحمن، وملازمة الذكر والسجود في كل آن؛ تقوية لمحمد –صلى الله عليه وسلم – خاتم المرسلين، وصحابته الميامين، على ما نالهم من عذاب الهون، من أهل الشرك والبهتان.

وتكمن علاقة قصة شعيب عليه السلام بسورة الأعراف في ضرب مثال من الصراع بين الحق الذي يمثله شعيب، والباطل الذي يمثله أصحاب الأيكة الذين حاربوه، وسيأتي تفصيل ما كذبوا به نبيهم شعيبا، وما اتصفوا به من ذمائم دعاهم إلى تركها فأبوا.

علاقة قصة شعيب بمحور السورة وموضوعاتها:

العلاقة التي تجمع بين قصة شعيب –عليه السلام– وقصص الأنبياء الآخرين من جهة وبين محور السورة من جهة أخرى تكمن في إنذار أهل القرى، الذين اقتفوا أثر الأمم السابقة التي طلبت نزول العذاب آجلا ليشاهدوه عيانا، كما دل على ذلك قوله تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون} حيث حذرت الأمم التي تنتظر وقوع ما وعدهم به الله ورسله عيانا، فقصص عليهم ما يشاهدونه من العذاب الحاصل للأمم التي عرضتها السورة، والاطلاع على المآثر التاريخية التي تدل على قوتهم وبطشهم، ورغم ذلك لم يغن ذلك عنهم عند حلول العذاب شيئا، لتكون هذه القصص عبرة للمنذرين قبل فوات الأوان، خصوصا وأن من أهداف القصص القرآن العبرة، مصداقا لقوله تعالى: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب} [يوسف:111].

علاقة مقطع قصة شعيب وتاريخ نزوله بالسيرة النبوية:

نزلت هذه السورة في مرحلة بداية الجهر بالدعوة في المدينة التي استمرت عشر سنوات، بعد أن كانت سرية في السنوات الثلاث الأولى، وكانت هذه الفترة التي نزلت فيها السورة مرحلة حاسمة ومصيرية في تاريخ

الدعوة، لأن المجتمع بدأ يعبر عن موقفه من الدعوة بالرفض أو القبول، سواء بالتأييد أو المحاربة، وهنا بدأ الهجوم على المسلمين الذين يعتبرون آنذاك أقلية معدودة على رؤوس الأصابع، وعذبوا بشتى أنواع العذاب، من الضرب والشتم والتهجير، بل وصل بهم الأمر إلى مرحلة الحصار والقتل، وفي هذه الظروف الصعبة نزلت هذه السورة تسلية ومواساة للنبي –صلى الله عليه وسلم– ومن آمن معه، وذلك عن سبيل الكشف عن سن الله في كونه التي ستنطبق عليهم أيضا، وإظهار الصراع المستمر بين قوى الخير وقوى الشر منذ آدم – عليه السلام– ووضع النقاط على الحروف في التعريف بدين الحق بمثال عملي وتجربة ملموسة، عبر مر الدهور والعصور، فحكى لهم ما وقع للأنبياء السابقين ومن آمن معهم من معاناة وما نالهم من عذاب، وبين لهم ما آل إليه من خالفهم من عذاب مستأصل، فجاء أسلوبها بعبارات قوية، وخطاب واضح، وسرد بديع، ممزج بين سرد القصص والأوامر والنواهي والاستشراف إلى المستقبل[1].

[1] ينظر، جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1999م) ج3، ص95.

المبحث الثاني

أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بعبادة الله والنهي عن التطفيف والفساد

المطلب الثاني: النهي عن صد من سلك سبيل النجاة

المطلب الثالث: انتظار حكم الله

المطلب الرابع: التهديد بالطرد

المطلب الأول

الأمر بعبادة الله والنهي عن التطفيف والفساد

قال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا} [الأعراف: 85]

أتت قصة شعيب . عليه السلام . في سورة الأعراف خامسة من حيث الترتيب، أي بعد ذكر قصة كل من نوح وهود وصالح ولوط –عليهم السلام– ويغلب على تعبيرها العام، الأسلوب الطلبي المتمثل في الأمر بالاتصاف بالأخلاق الحميدة، والنهي عن الرذائل والصفات الذميمة.

وبعد النظر في الآيات التي وردت فيها هذه القصة تبين لي أنها تنقسم إلى ثلاثة مقاطع، تبعا للمعنى، وهي كالتالي:

الآية الأولى: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} تعالج هذه الآية بصفة عامة موضوع رسالة شعيب –عليه السلام–انطلاقا من ثلاثة أمور:

أ. الأمر بإفراد الله – عز وجل – بالوحدانية.

ب. النهي عن التطفيف في المكيل والموزون.

ت. النهي عن العتو في الأرض بعد إصلاحها[1].

أولا: الأمر بإفراد الله –عز وجل– بالوحدانية:

بدأت قصة شعيب –عليه السلام– بالتوحيد الذي هو عمود هذه السورة، ويظهر في كل محطاتها، كما صرحت به في استهلالها، حيث أمرت باتباع ما أنزل الله على رسله، {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ} [الأعراف: 3] ونادت بني آدم برمتهم إلى اقتفاء أثر الرسل الذي يضمن النجاة والفلاح، قائلة: {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} [الأعراف: 35]، وبينت أن أول ما تأمر به الرسل أقوامها هو إفراد الله بالعبودية، بداية بنوح –عليه السلام–، باعتباره أول مبعوث، لما ورد في الحديث الصحيح: "ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"[2] حيث بدأ دعوته بالتوحيد قائلا: {يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ} [الأعراف: 59] وأردفته بهود –عليه السلام– الذي بدأ بمخاطبة قومه بنفس المبدأ قائلة: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [الأعراف: 65] ليتبعه بصالح –عليه السلام– الذي كرر الخطاب نفسه قائلة: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: 73] ونفس المبدأ التزم به شعيب –عليه السلام– إذ قال لقومه: {يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ}[الأعراف: 85]، قال الشنقيطي: "إذا نظرت في رسائل الرسل إجمالا وتفصيلا وجدت ...

---

(1) ينظر: باحويرث: تهاني بنت سالم بن أحمد، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب**، (السعودية: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوى وأصول الدين، د.ت، د. ط) ص 387.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}، ج6، ص17، رقم (4476).

أن أول ما يقول لهم هو مضمون (لا إله إلا الله)"[1] مما يومئ إلى عظمة هذه الجملة، حتى إن الله –عز وجل– نفى أن يبعث رسولا دون أن يكون شعاره إفراد الله بالألوهية، حيث قال: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وقال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45].

وسأتتبع الدلالات السياقية للآيات التي تدعو قوم شعيب إلى توحيد الله على حدة؛ لأجل توضيح معاني ألفاظها:

1. اختلاف مفتتح قصة شعيب –عليه السلام– حيث جاء موحدا في سورة الأعرف وهود والشعراء والعنكبوت، حيث استهلت كلها بقوله تعالى: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ} [الأعراف: 85] بينما جاء مغايرا في سورة الشعراء، حيث افتتحت بقوله تعالى: {كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [الشعراء: 176].

عبر البيان القرآني المعجز في كل سياق بما يلائم جو تلك السورة، ففي سورتي الأعراف وهود راعى ما يناسب مستهل قصص الأنبياء المتقدمين على شعيب –عليه السلام– في السورة نفسها، وهما

---

[1] الشنقيطي، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق خالد بن عثمان، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ) ج3، ص574.

هود وصالح –عليهما السلام– قال تعالى: {وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف: 65]، قال: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا} [الأعراف: 73] من باب عطف القصة على القصة[1].

قال البقاعي: "ولما انقضت هذه القصة العجيبة في القصص، أعاد النسق الأول"[2] وهي على تقدير مضاف، أي: "وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا"[3] ، قال أبو السعود: "عطفٌ على قوله وإلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا وما عُطف عليه وقد روعيَ ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرورِ على المنصوب أي وأرسلنا إليهم"[4].

وقد أتى موضع الشعراء أيضا متناسبا مع سياق ما سبقه من قصص الأنبياء المذكورين في السورة[5]، وهم: صالح ونوح وهود –عليهم السلام– قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: 105]، وقال

---

(1) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1420هـ)، ج6، ص203.

(2) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص459.

(3) الرازي: فخر الدين عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ) ج 14/ ص 313.

(4) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د. ط) ج3، ص246.

(5) الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، 1285هـ، د. ط) ج3، ص30.

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء: 123]، وقال {كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [الشعراء: 160]، وعطف عليها قصة شعيب –عليه السلام– على نفس النسق.

أما موضع سورة العنكبوت، فقد أتى مخالفا لما جرى عليه نسق ذكر قصص الأنبياء المذكورين في السورة، الذي هو ذكر النبي وتعريف القوم بالإضافة إليه، كما في قصة نوح وإبراهيم ولوط –عليهم السلام– حيث جاء أسلوب قصة شعيب وهود وصالح –عليهم السلام– بذكر القوم أولا وإضافتهم إلى أخيهم شعيبا، وقد أجاب الرازي على هذا التنوع في سرد القصص بتعليل نفيس، قائلا: "الأصل في جميع المواضع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل لا يبعث رسولا إلى غير معين، وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى إنباء من المرسل فيرسل إليهم من يختاره غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط، وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على أصله"[1]. كما أن تقديم المجرور هنا يفيد الإيجاز في وصف كون شعيب –عليه السلام– أخا لهم؛ لأن تلك الصفة غير متوفرة في قوم نوح وإبراهيم ولوط –عليهم السلام[2].

2 حذف حرف العطف: حيث جاءت هذه الآية: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: 85] مستأنفة في سورتي الأعراف وهود بدون فاء العطف، بينما أثبتت في سورة العنكبوت، عند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت: 36]، والجواب هو أن مفتتح قصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في سورة الأعراف هو قوله تعالى: {لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ } [الأعراف: 59] وبعد ذلك:

---

(1) الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج 25، ص 54.

(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج20، ص247.

{وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ }[الأعراف: 65] وبعده {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ } [الأعراف: 73] ليأتي بعده {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ} [الأعراف: 85] والترتيب نفسه على هذا النسق في سورة هود، إلا أن قصة نوح –عليه السلام– افتتحت بلا واو في الأعراف، وبالواو في هود. "ولما تساوت تلك المعطوفات المتقدمة كلها على المعطوف عليه الأول، وكان الفعل المضمر مثل الظاهر في التعلق بالمرسل والمرسل إليهم، جرى الجميع مجرى واحدا، فكان التقدير: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا، وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا، وأرسلنا إلى مدين شعيبا"[1] ولما كان الأمر مخالفا بعض الشيء في سورة العنكبوت، التي افتتحت بقصة نوح فإبراهيم فلوط – عليهم السلام – ولم تجر كلها على فعل واحد في التعلق بالمرسل والمرسل إليهم، إذ جاز أن يكون المعنى: واذكر إبراهيم ولوطا، ثم أتت قصة شعيب – عليه السلام –فأجريت مجرى القصة الأولى التي هي قصة نوح في تعدي الفعل فيها إلى المرسل والمرسل إليهم، فأثبتت الفاء لتدل على أن هذه القصة معطوفة على القصة البعيدة لا القريبة[2]. وذهب ابن عاشور إلى أن حرف الفاء حذف لدلالة على "أن كلامه هذا ليس هو الذي فاتحهم به في ابتداء رسالته، بل هو مما خاطبهم به بعد أن دعاهم مرارا، وبعد أن آمن به من آمن منهم"[3].

---

[1] ينظر بتصرف الخطيب الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، دراسة وتحقيق وتعليق محمد مصطفى آيدين، (جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 2001م) ج2، ص774.

[2] المرجع السابق، ج2، 776.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 8ب، 239.

3. وصف شعيب –عليه السلام – بأنه أخوهم {أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} في سورة الأعراف وهود والعنكبوت، دون ذكر ذلك في الشعراء، حيث قال تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ}.

اختلف أهل التأويل في توجيه هذا المعنى على أقوال سأذكر بعضا منها:

أ. قيل يذكر القرآن أخوة شعيب – عليه السلام – عند ذكر اسم مدين لأنها قبيلته، بينما لم يذكرها عند ذكر أصحاب الأيكة؛ لأنه ليس من نسبهم، وأهل هذا الرأي ذهبوا إلى أن شعيبا –عليه السلام– أرسل مرتين، مرة إلى مدين ومرة إلى أصحاب الأيكة. وضعف ابن كثير هذا الرأي مؤكدا على أن الصواب هو أنه أرسل مرة واحدة إلى قبيلة واحدة، قائلا: "أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح"[1].

ب. ذهب البقاعي إلى أن شعيبا –عليه السلام– كان قرويا، وقومه – أصحاب الأيكة – من البدو، لذا لم يذكر القرآن الأخوة في موضع الشعراء؛ إشارة إلى أن الله تعالى لم يرسل نبيا إلا من أهل القرى، تشريفا وتكريما لهم؛ لأن البركة والحكمة في الاجتماع، مستدلا على ذلك بأثر لم أجد له أصلا صحيحا من كتب السنة[2].

ج. الرأي الأولى بالصواب هو أن الله تعالى يذكر أخوة شعيب لقومه عندما يذكرهم باسم قبيلتهم التي هي مدين، ولم يذكرها عند نسبتهم إلى الأيكة التي كانوا يعبدونها، تنزيها لشعيب – عليه السلام– عن النسبة إليها، قال ابن كثير: "فقطع نسبة الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا. ومن الناس من

---

[1] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م) ج6، ص158.

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج14، ص76.

لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبا عليه السلام، بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم"[1].

4. أمرت الآية في سورة هود والأعراف بعبادة الله تعالى وإفراده بالوحدانية، حيث قال عز وجل: {ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ} [الأعراف: 85] أما في سورة العنكبوت فأمرت الآية بالعبادة فقط دون الوحدانية، قائلة: {يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ } [العنكبوت: 36] لعل السبب في ذلك يرجع إلى أن محور سورة الأعراف هو التوحيد، فناسب المقام أن يذكره بعد العبادة، خصوصا أن العبادة بلا توحيد باطلة، ويؤكد هذا المعنى أيضا ورود الأسلوب نفسه في كل القصص المتقدمة على أصحاب مدين، من قوم نوح، وعاد، وثمود، ماعدا قوم لوط الذين لم يؤمروا لا بالعبادة ولا بالتوحيد في هذه السورة، بل بالنهي عن الفواحش التي ابتدعوها، كما أنه يمكن القول أيضا إن التعبير باليوم الآخر يفيد التوحيد، لأن من أيقن أن البعث حاصل لا محالة فقد أثبت فردانية الله عز وجل، ولاسيما أن مسألة البعث من الأمور التي ينكرها أغلب المشركين.

أما موضع سورة الشعراء فلم يرد فيه ذكر للعبادة لأنه ذكر ما يستلزمها الذي هو الأمر بالتقوى والطاعة[2]، قال تعالى: {وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ} [الشعراء: 184] {إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: 177–179] بالإضافة إلى مراعاة نسق السورة في عرض قصص الأنبياء؛ لأن أول مراتب التقوى والطاعة هو إفراد الله عز وجل بالعبودية الذي أكدته الآية.

---

[1] المرجع نفسه، ج6، ص108 . 109.

[2] ينظر تهاني بنت سالم، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب**، ص 394.

5.زيادة {قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ} [الأعراف: 73] في سورة الأعراف، وحذفها في سورة هود، ويمكن أن يكمن سبب ذلك في أن قصة شعيب –عليه السلام– وردت أولا في الأعراف حسب الترتيب المصحفي، ففصلت فيها أكثر من غيرها، فهي بمثابة الأصل لما سيأتي بعدها من السور، بالإضافة إلى مناسبة قصة شعيب لقصة صالح –عليهما السلام– في ذكر البينة، والبينة هنا عند أغلب المفسرين يقصد بها الحجة والمعجزة[1]، ورجح ابن عطية هذا الرأي استنادا إلى قراءة الحسن: {قد جاءتكم آية من ربكم} [2].

ثانيا: النهي عن التطفيف في المكيل والموزون:

جرت عادة الرسل –عليهم السلام– بعد دعوة شعوبهم إلى توحيد الله، أن يبدؤا بما هو شائع فيهم من أنواع المناكر والمفاسد، قال الرازي: "لأن عادة الأنبياء عليهم السلام أنهم إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع

---

(1) الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هاجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001) ج12، ص555. الماتريدي: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005) ج4، ص463.السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993) ج1، ص555. البغوي: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420ه) ج2، ص214. ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد، **التسهيل في علوم التنزيل**، تحقيق عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، ط1، 1416ه) ج1، ص294. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص447.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص426.

من أنواع المفاسد إقبالاً أكثر من إقبالهم على سائر الأنواع بدأوا بمنعهم عن ذلك النوع، وكان قومه عليه السلام مشغوفين بالبخس والتطفيف"[1]

وقد تقدم أن من مقاصد هذه السورة تسديد الانحرافات الجنسية، ومحاربة الجشع ونهب حقوق الغير، كما هو واضح في قصة لوط الواردة قبل قصة شعيب –عليهما السلام– الذي سار على النهج نفسه، حيث بدأ بمحاربة الفاحشة التي فشت في قومه التي هي التطفيف والبخس في المكيال والميزان، فكان تركيزه على هذه المعضلة التي تجدرت في نفوس قومه، فنهاهم بطرق متنوعة، وبأساليب دلالية مؤكدة، تدل على إبائهم الإقلاع عن تلك العاهة، وقد ورد هذا النهي عموما عبر أربع مراحل[2]:

الأولى: النهي عن القبح الذي كانوا يمارسونه من نقص المكيال والميزان.

الثانية: التصريح بالإيفاء ترغيبا فيه، ودعوة إليه.

الثالثة: النهي عن نقص أشياء الناس، عموما، سواء كانت مما يكال ويوزن أو لا.

الرابعة: النهي عن الفساد في الأرض وهو أعم من كل ما تقدم، قال أبو حيان: "فبدأهم أولاً بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله، ثم ارتقى إلى عام، ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله"[3].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص313.

(2) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص195.

(3) المرجع السابق.

والدلالات الواردة في هذا الموضوع كالتالي:

1. أمرت سورة الأعراف بإيفاء الكيل والوزن: {فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ} [الأعراف: 85] بينما بدأت سورة هود بالنهي عن نقص المكيال والميزان، {وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ} [هود: 84] وجاء الأمر بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم، والنهي عن البخس في سورة الشعراء، قال تعالى: { أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ} [الشعراء: 181-183].

قيل بدأ بالأمر بالإيفاء في أول سورة ذكرت فيها القصة من باب تقديم التحلية على التخلية، كما أن صيغة الأمر أنسب لجو سورة الأعراف التي غلب عليها أسلوب الطلب، ويؤكد هذا قوله تعالى في بداية السورة: {قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ} [الأعراف: 29] وجمعت سورة هود التي فصلت في القصة أكثر بين الأمر والنهي لمزيد من التأكيد والمبالغة في نفي إيهام احتمال اقتصار الآية على الأمر بالإيفاء، دون النهي عن النقص، أو العكس[1]. وفرقت سورة الشعراء بين الكيل والوزن لمزيد من التوكيد، والتحذير من هذه السلوك البشع، ولم جمع بينهما "لما للتفريق من التعريف بمزيد من الاهتمام"[2] ويدل تفصيل هذه الآية على أن الكيل ثلاثة أضرب: "واف، وطفيف، وزائد. فأمر بالواجب الذي هو الإيفاء، ونهى عن المحرّم الذي هو التطفيف، ولم يذكر الزائد، وكأن تركه عن الأمر والنهى: دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه"[3].

---

[1] ينظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج15، ص141.

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج14، ص87.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص332. الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج24، ص528.

3. عبرت سورة الأعراف بالكيل: {ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ} [الأعراف: 85] وكذلك الشعراء {أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ} [الشعراء: 181] بينما ورد في سورة هود المكيال: {ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ} [هود: 84] قيل: لأن "الكيل مصدر فكنى به عن آلة الكيل فتطابق مع الميزان، أو وأريد بالميزان المصدر لا الآلة كالميعاد بمعنى الوعد فتناسبا[1].

وقيل: "إن الكيل وما عطف عليه مصدران، والكلام على الإضمار أي أوفوا آلة الكيل والوزن"[2]. وقيل إن التعبير بالكيل تارة وبالمكيال تارة أخرى يشعر بأن العبارتين متلازمتان، قال الشنقيطي: "وهو كذلك؛ لأن من أوفى فعل الكيل لا بد أن يملأ الآلة كما ينبغي، ومن استوفى الآلة أي: ملأها تماما فقد استوفى فعل الكيل، فهما متلازمان"[3].

3. وردت كلمة "القسط" في سورة هود و"القسطاس" في سورة الشعراء، دون ذكر شيء من ذلك في سورة الأعراف، ولعل السبب في ذلك هو التدرج في محاربة ذالك الغش الذي غرز في نفوسهم، لذا تطرقت سورة الأعراف إلى عموم الإيفاء، ثم جاء القسط في سورة هود لأجل التوكيد والحرص على أن يكون الإيفاء بوجه العدل والتسوية، دون زيادة ولا نقصان[4]، فثبت بذلك عمومه وشموله "فزال بالمجموع توهم المجاز على

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص105.

(2) الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ) ج4، ص413.

(3) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق خالد بن عثمان، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ) ج3، ص585.

(4) ينظر الزمخشري، الكشاف **عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ج2، ص417.

أبلغ وجه"[1]، وأتي في سورة الشعراء بالقسطاس المستقيم؛ لأجل المبالغة، لأن القسطاس "بناء مبالغة من القسط"[2]، وقيل هو . بالضم والكسر . هو من أسماء العدل والميزان[3]. وقد قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف، وقرأ باقي السبعة بضمها، وهما لغتان[4].

4. إذا كان النهي عن الشيء أمر بضده[5]، فما فائدة إتيان الأمر بالإيفاء في سورة هود بعد النهي عن النقصان؟[6]

قيل لأن الشيء يؤكد بنفي ضده، وذلك كقوله تعالى: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ} [طه: 79] فكان النهي آكد[7]، وثبت بذلك زيادة "ترغيب في الإيفاء بطلب حصوله بعد النهي عن ضده"[8].

ثالثا: النهي عن العتو في الأرض بعد إصلاحها.

---

(1) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج9، ص353.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج 4، ص242.

(3) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص185.

(4) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج7، ص46.

(5) ينظر إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله الجويني، **الورقات**، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1977م) ص14.

(6) ينظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص418.

(7) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج12، ص137.

(8) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص137.

جرت عادة الرسل في بداية أمرهم أن يتدرجوا في الدعوة، سواء من حيث الاتيان أو الاجتناب كما هو واضح في القرآن الكريم، في عدة مجالات، منها على سبيل المثال لا الحصر: موضوع تحريم الخمر، الذي حرم بالتدرج على مراحل، والأمثلة على ذلك أيضا في السنة النبوية الشريفة واردة، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل –رضي الله عنه– لما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[1] وهذا الأسلوب جلي في دعوة شعيب –عليه السلام– أيضا حيث وسع دائرة الإصلاح بعد أن كانت مقصورة فقط على إصلاح المكيال والميزان، لتصبح شاملة وعامة لكل أنواع الفساد في الأرض، هذا المبدأ الذي ينسجم مع مقاصد هذه السورة التي تحث بني آدم على الحفاظ على هذا الكون الذي سخره الله للبشرية، ومكنهم منه وجعل لهم فيه معايش، والإفساد في الأرض يعم الظلم في الأنظمة الاجتماعية البشرية بصفة عامة، والفساد العمراني وذلك بالإضرار بالممتلكات العامة، كما يدخل في ذلك أكل أموال الغير بالباطل والعدوان والبغي، وإفساد الأخلاق بإظهار الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويشمل الإصلاح كل ما يمكن أن يصلح به حال الأمم سواء من جهة العقيدة السليمة الصحيحة التي تتنافى مع كل أنواع الشرك والخرافات، أو كل ما يقع به صلاح الأنفس وتزكيتها من أدران الدنيا، والأعمال الفنية التي ترتقي بالعمران

---

[1] أخرجه **البخاري** في صحيحيه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ج2، ص128، رقم الحديث1496. **ومسلم** في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج1، ص51، رقم الحديث: 19.

البشري، وكذلك اتباع ما جاءت به الرسل المبلغة عن رب العباد، وحسن استغلال الأرض سواء بالزراعة والصناعة والتجارة[1]، وكل ما يقع به نفع عيال الله من الآدميين وغيرهم.

ومن الدلالات الواردة في سياق النهي عن الفساد في الأرض بعد إصلاحها، ما يأتي:

1. ورد قوله تعالى: {وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ} فاصلة ختمت بها الآية في كل من سورة هود والشعراء والعنكبوت، بينما غيرت الفاصلة في سورة الأعراف، وعبرت عنه بأسلوب مختلف، حيث قال تعالى: {وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ} [85]

لا يمكن تعليل ذلك بمناسبة رؤوس الآي؛ لأن سورة الأعراف فاصلتها حرف النون، وكان الأولى أن يرد فيها النهي عن الفساد رأس آية؛ لأنه مختوم بحرف النون، ويمكن إرجاع ذلك إلى أن خطاب سورة الأعراف كان هو أول ما ألقي إليهم، فلم يرد بصيغة المبالغة، ثم أكدته سورة هود والشعراء والعنكبوت، بالإضافة إلى أن هذه التعبير بالإفساد في الأرض يلائم مقصد سورة الأعراف الذي هو إعمار الأرض وإصلاحها، كما تقدم في بداية السورة عند قوله تعالى: {وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ} [الأعراف:10].

2. ورد التعبير بالفساد في سورة الأعراف، بينما ورد التعبير بالعتو في كل من سورة هود، والشعراء والعنكبوت، ويمكن تفسير ذلك بأن سورة الأعراف هي أول سورة ورد فيها ذكر قصة قوم شعيب –عليه السلام– فكان التعبير بالفساد الذي هو ضد الصلاح أولى، لأنه يدل على خروج الشيء عن الاعتدال، سواء كان خروجا

---

[1] ينظر رشيد رضا، تفسير المنار، ج8، ص470.

قليلا أو كثيرا[1]، ولما تمادوا على غيهم عبر بالعثو الذي هو أشد من الفساد، والذي يدل على "المبالغة في ركوب المعاصي والتمرد فيها، والعاتي من اتصف بذلك فلم تنفع فيه موعظة ولم ينجع فيه إنذار"[2] فكان معنى الآية جاريا مجرى "ولا تفسدوا في الأرض مفسدين"[3] وكان العثو الدال على المبالغة هو المناسب لحالهم لأوجه منها:

أ. لأن من سعى إلى إفساد مصالح الغير فهو في الحقيقة مفسد لمصالح نفسه.

ب. لأن فسادهم أفسد لهم مصالح دنياهم وآخرتهم.

ج. أنهم بذلك مفسدون لمصالح كل الأديان[4].

4. وردت هذه الزيادة: {بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ} في سورة الأعراف دون أن ترد في باقي السور التي ورد فيها ذكر قوم شعيب –عليه السلام–، لأن ذلك مناسبا لما تدعو إليه هذه السورة من الحفاظ على هذا الكون المدلل للبشرية؛ لينتفعوا بملذاته وزينته التي أحلها لهم، ويؤكد ذلك قوله تعالى في السورة نفسها: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا}ظ[الأعراف: 55–56] حيث نهى عن الفساد في

---

[1] الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، ط1، 1412) ص 636.

[2] السمين الحلبي: أبو العباس أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، ط1، 1996) ج3، ص28.

[3] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج17، ص385.

[4] ينظر المرجع السابق، ج 18، ص 386.

الأرض بعد إصلاحها بعد أن ذكر أنه لا يحب المعتدين، ويشمل هذا المنع من الفساد الكليات الضرورية الخمسة: التي هي حفظ النفس من أي ضرر كلي أو جزئي يمكن أن يلحقها، والمال من النهب والسرقة والغصب، والدين من الكفر والشرك والبدع، والأنساب من الزنا والشذوذ وأسباب القذف والرمي، والعقل من كل ما يمكن أن يذهب به من المسكرات وغيرها[1]، والبعدية هنا حقيقية؛ لأن الأرض من أول أمرها خلقت وفق نظام محكم وقوانين وسنن مطردة لا تتخلف[2]، وقد ورد في تفسيرها أقوال، منها:

أ. بعد إصلاح الأرض ببعث الأنبياء والرسل ومن تبعهم من الصالحين[3].

ب. وقيل لا تفسدوا فيها بعد أن أصلحها الله بتكثير النعم التي سخرها عليهم[4].

ج. وقيل المقصود بإصلاحها إيجادها وخلقها محكمة بهذا النظام البديع الفذ، ثم بنعمة الإبقاء وإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تدعو إلى الصلاح والفلاح في الدارين، وذلك بتعظيم أمر الخالق، والشفقة في المخلوقات، "ويجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة"[5].

---

(1) فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 14، ص 283.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص283.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص127. البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج2، ص214. النسفي: أبو البركات عبد الله بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق وتخريج: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1998م) ج1، ص585. أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، 247.

(4) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج14، ص314.

(5) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص461.

4. ذيلت سورة الأعرف بقوله تعالى: {ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ} بينما ورد في سورة هود: {بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ} [هود: 86]، ولعل السبب في ذلك أن التركيز في سورة هود كان على النهي عن التطفيف والبخس في الكيل والوزن كما تقدم، إذ جمعت السورة في ذلك كما تقدم بين النهي عن نقص المكيال والميزان، والأمر بإيفائهما، والنهي عن بخس الناس حقوقهم، والنهي عن العثو والفساد في الأرض، فكان التذييل مناسبا لما هو مؤكد في الآية، فجاء التعبير بأن ما يبقي بعد إيتاء الناس "حقوقهم بالكيل والميزان بالقسط، فأحله لكم، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم"[1]، أما تذييل سورة الأعراف فهو عام في كل ما سبق ذكره في الآية "من عبادة الله وحده وعدم إشراك شيء من خلقه في عبادته لما ترون فيه من خير ترجونه أو ضر تخافونه ومن إيفاء الكيل والميزان بالقسط وما نهيتكم عنه من الإفساد في الأرض ذلكم كله خير لكم في معاشكم ومعادكم"[2]، ويومئ إلى ذلك الإتيان باسم الإشارة مضافا إلى ميم الجمع، وهو المناسب للمقام، لأن القسط وترك الفساد بدون توحيد الله تعالى كالسراب يحسبه الظمآن ماء لكن عند الحاجة لم يجده شيئا، لذا قيد احتساب أجر إيفاء الكيل والوزن في السورتين بشرط الإيمان، "وإلا فلا ينفع عمل دون إيمان"[3]، وحمل بعض المفسرين[4] الإيمان هنا على معناه اللغوي، فيكون المعنى حينئذ: ذلكم خير لكم "إن كنتم مصدقين

---

(1) الطبري، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، ج15، ص447.

(2) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج8، ص471.

(3) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص 426.

(4) منهم: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص128؛ والرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص314؛ والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص585.

لي في قولي"[1]، لكن الأولى أن يحمل على الإيمان بالله تعالى ليكون من باب رد العجز على الصدر، فتختم الآية بما بدأت به من التوحيد، وأيد ابن عاشور هذا الرأي واعتبر غيره عدولا عَن مهيع الوضوح[2].

---

[1] **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص128.

[2] **التحرير والتنوير**، ج8ب، ص246.

المطلب الثاني

النهي عن صد من سلك سبيل النجاة

قال تعالى: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون)

بعد أن دعا سيدنا –شعيب– قومه أولا إلى توحيد الله تعالى الذي هو أساس كل الديانات السماوية، ثنى بالأوامر والنواهي المرتبطة بالأوصـــاف الغالبة على حالهم، أتت هذه الآية لتذكر الأصـــل الثالث من دعوته الذي هو النهي عن قطع الطريق أمام من يريد التوجه إلى الحق المبين توخيا لصـــده، وقد أخر هذا النهي عن السـابق الذي هو التطفيف، ليس لأن اقترافه دون التطفيف في الجرم، بل لتأخره زمانيا؛ لأن دعوة شـعيب –عليه السـلام– وُجهت أولا إلى عشـيرته والمقربين منه مكانا، لتتوسـع بعد ذلك إلى أن تصـل إلى البعداء الذين يزورن أرضـــه ليســمعوا لما جاء به من الهدى والبينات، فيمنعهم قومه من الوصـــول إليه، وقد جرت ســـنة الله أن يكون أبعد الناس عن الأنبياء نســـبا ومكانا هم من يســـتجيبون لدعوتهم أكثر مقارنة مع القرباء[1]، كما هو الشأن بالنسبة لخاتم الأنبياء محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي لم يؤسس الدولة إلا بعد الهجرة إلى المدينة المنورة.

وقد نهى شعيب –عليه السلام– قومه في هذه الآية عن ثلاثة أشياء:

1. النهي عن القعود على الطرقات وتهديد كل من يؤم سبيل شـعيب –عليه السـلام– الذي يهدي إلى سـواء السبيل وفلاح الدارين.

---

[1] ينظر رشيد رضا، المنار، ج8، ص474.

2. النهي عن صد وصرف من وصل إلى شعيب –عليه السلام– وآمن به وصدق بما جاء به من البينات.

3. النهي عن ابتغاء جعل سبيل الله المستقيم ذا عوج، برمي الشبهات المشككة والمشوهة له[1].

أولا: قوله تعالى: {وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ} [الأعراف: 86] ومن الدلالات الواردة في هذه الآية، ما يلي:

1. {ولا تقعدوا}: القعود هنا متعد بحرف الباء، واختلف في معناها، فقيل: هي على معناها الأصلي الذي هو الإلصاق أو المصاحبة، وقيل هي بمعنى "في"[2]، وقيل هي بمعنى "على" من باب تناوب الحروف[3]، ويمكن في رأيي –والله أعلم– أن يكون من باب التضمين، حتى يدل على أنهم كانوا يقعدون في كل الطرق التي تؤدي إلى شعيب –عليه السلام– ليمنعوا كل من سلكها ويفسدوا له عقيدته بخلق افتراءات واهية تطعن في نبيهم المعصوم، ويسلبوا من كل تاجر ما معه من زاد لتتناسب الآية مع التي قبلها، فتجمع بين قطع الطريق الحسي والقطع المعنوي، وإن كان المفسرون الذين اطلعت عليهم جعلوها أقوالا منفصلة[4].

---

(1) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص315؛ رشيد رضا، المنار، ج8، ص475.

(2) ينظر السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت، د.ط) ج5، ص376؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7ب، ص246.

(3) ينظر يحيى عبابنة، **القراءات القرآنية رؤى لغوية معاصرة**، (دار الكتاب الثقافي والتوزيع والدعاية والإعلان، ط1، 2018) ص273.

(4) ينظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج14، ص314؛ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط2، 1964م) ج7، ص249.

2.{كل صـراط}: صـيغة أريد بها العموم، لكن قد نتسـاءل: لماذا جمع الصـراط مع أن طريق الحق واحد؟ مصـــداقا لقوله تعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِـــرَٰطِي مُسۡـــتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّـــبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ} [الأنعام: 153].

الجواب: أن الصراط المستقيم واحد، لكنه يتفرع إلى أقسام وتفاصيل تتكامل فيما بينها، ويتشعب إلى أحكام كثيرة ومختلفة، وحدود متنوعة، ومعارف مكتسـبة، فكان قوم شـعيب –عليه السـلام– إذا رأوا أي أحد يشرع في شيء منها منعوه وهددوه ووعدوه بالقتل[1].

3. {صراط}: يستخدم بمعنى الطريق الحسي والمعنوي، واختلف في المقصود به هنا، فقيل:

أ. المقصـود به هو الطريق المعنوي الذي هو المنهج الديني[2]، والصـد عن إقامة الشـعائر التي شـرعها الله لشعيب[3] –عليه السلام–، واقتفوا في ذلك أثر قدوتهم الذي هو الشيطان كما ذكر في بداية السورة، عند قوله تعالى: {لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} [الأعراف: 16] ورجح الزمخشري هذا الوجه؛ لأنه يتناسب أيضـا مع مختتم هذه السورة الذي هو: {وتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ}

ب. أن المراد به هو الطريق الحسي، إلا أن الطريق الحسي بدوره يحتمل معان، منها:

---

[1] ينظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص128.

[2] المرجع السابق.

[3] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج4، ص497.

أولا: أن يقعدوا على الطرق المؤدية إلى شعيب –عليه السلام– ليصدوا سالكيها، ويتوعدوا من آمن به بالقتل، كما كانت تفعل قريش مع النبي[1] –صلى الله عليه وسلم–.

ثانيا: أنهم كانوا يجلسون على الطرقات لأجل أن يأخذوا من بضائع التجار المارين قهرا قسطا لا يلزمهم شرعا، وذكر القرطبي: أن "مِثْلُهُمُ الْيَوْمَ هَؤُلَاءِ الْمَكَّاسُونَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مَا لَا يَلْزَمُهُمْ شَرْعًا مِنَ الْوَظَائِفِ الْمَالِيَّةِ بِالْقَهْرِ وَالْجَبْرِ، فَضَمِنُوا مَا لَا يَجُوزُ ضَمَانُ أَصْلِهِ مِنَ الزَّكَاةِ وَالْمَوَارِيثِ وَالْمَلَاهِي... وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِهَا وَأَفْحَشِهَا"[2].

ثالثا: أنهم كانوا قطاع الطرق، ونهتهم الآية عن أخذ السلب، واستدل أصحاب هذا القول بقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي خَشَبَةً عَلَى الطَّرِيقِ لَا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شي إِلَّا خَرَقَتْهُ فَقُلْتُ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا مَثَلٌ لِقَوْمٍ مِنْ أُمَّتِكَ يَقْعُدُونَ عَلَى الطَّرِيقِ فَيَقْطَعُونَهُ ثُمَّ تَلَا: {وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ}[3]. وقد يراد به كل الاحتمالات، ما دام أنهم موصوفون بالإفساد والطمع في أموال الناس، فقد يجلسون في الطريق لإفساد عقائد الناس، وأخذ أموالهم.

4. [توعدون]: جُرد هذا الفعل من المفعول، ولم يحدد ما يتوعدون به الناس؛ ليدل على العموم فيشمل جميع ما يمكن التهديد به من أنواع العذاب، إذ تستعمل كلمة الوعيد دائما في الشر، والوعد يستعمل في

---

[1] بتصرف القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص239.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص106؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص33.

الخير إذا كان مبهما أو مطلقا، ويستخدم في الشر بالتقييد[1]، كما أن من استعمال العرب أيضا أن يكون هذا الفعل للشــر إذا كان مجردا من المفعول كما هو الشــأن هنا، فيقولون: أوعدت فلانا، وإذا أرادوا أن يذكروا ما هددوا به عدوه بالباء فقالوا مثلا: أوعدته بالضـــرب[2]، قال أبو حيان: "ولم يذكر الموعد به لتذهب النفس فيه كل مذهب من الشر لأن أوعد لا يكون إلا في الشر وإذا ذكر تعدى الفعل إليه بالباء"[3].

5. {تصدون}: عطف الفعل "تصدون" على "تقعدون" من باب عطف العلة على المعلول؛ لأن سبب القعود هو الصـــد، وقد يكون من باب عطف العام على الخاص، إذا أريد به أنهم يتوعدون العازمين على الإيمان، ويصدون الذي لم يصمموا للإيمان[4].

6. {من ءامن به}: أتى الفعل "آمن" بصيغة الماضي، والأفعال السابقة عليه بصيغة المضارع، ليدل على أن الفعل يشــمل كل قاصــد الإيمان ومنع من طرف الصــادين عن الســبل الموصــلة لذلك، فالتعبير بالماضــي يومئ إلى تحقق عزيمة القاصــدين للإيمان، فلولا أنهم ما منعوا لكانوا قد آمنوا[5]، ويؤيد هذا اعتداد

---

(1) ينظر أبو هلال العسكري: الحسين بن عبد الله، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: بيت الله بيات، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ) ص575.

(2) ينظر ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ) ج2، ص137.

(3) **البحر المحيط**، ج5، ص107.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8ب، ص247.

(5) ينظر المرجع السابق.

عمرة الحديبية من ضمن العمرات التي اعتمرها النبي صلى الله عليه وسلم، وإن صده المشركون وحالوا بينه وبين العمرة.

واختلف في العامل في "من ءامن" هل هو مفعول "توعدون" أم مفعول "تصدون"،

ورجح الزمخشري[1] أن يكون من إعمال الفعل الأول، بينما ذهب السمين الحلبي[2] إلى أن يكون من إعمال العامل الثاني (توعدون) ومفعول الثاني (تصدون) ضمير محذوف؛ لأن إعمال الأول يقتضي أن يكون الضمير ظاهرا إذ لا يجوز حذفه على قول الجمهور إلا للضرورة الشعرية، قال أبو حيان: "وقد قال النحاة إنه لم يرد في القرآن لقلته ولو كان من إعمال الأول للزم ذكر الضمير في الفعل الثاني ... إذ هذا الضمير لا يجوز حذفه على قول الأكثرين إلا ضرورة"[3]، والضمير في "به" يعود على كل الصراط، على مذهب الزمخشري الذي اختار إعمال الأول، أو على "الله تعالى" المحذوف للعلم به على مذهب من أعمل الثاني، أو على "سبيل الله"[4]، وأجاز ابن عطية أن يعود أيضا على شعيب –عليه السلام–[5]. ولا أرى منعا –والله أعلم– في أن يعود على الكل، لا سيما إذا قصد بالصراط المنهج الديني، وأيضا على الله تعالى، وعلى شعيب، إذ الهدف واحد، وهو الإيمان بما جاء به شعيب –عليه السلام– من الشرائع الحقة.

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص128.

(2) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج5، ص377.

(3) بتصرف أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص107.

(4) ينظر السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج5، ص377

(5) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص427.

7. لماذا أخر قوله تعالى: {وتصـــــدون عن ســـبيل الله} عن قوله تعالى: {ذلكم خير لكم إن كنت مؤمنين} الذي هو قفل الآية، ولم يجعله ضمن نسق الأوامر والنواهي المتقدمة في الآية السابقة؟

لأن الآية رتبت الكلام حسب الأسبقية، فبدأت بالدعوة إلى التوحيد، ثم إلى الأعمال الصالحة الملائمة لصـــــلاح جميع المخاطبين، ثم أعقبت ذلك ببيان أن ذلك خيرا لهم إن كانوا مؤمنين حقا، فأعادت تذكيرهم بالإيمان الذي هو شرط في صـلاح الأعمال وقبولها، وبما أنها ذكرت الإيمان ناسب ذلك أن تعود إلى النهي عن صد الراغبين فيه والطامعين في الوصول إليه، استفاض ابن عاشور في بيان ما يتناسب مع هذا الترتيب، موضـحا نماذج من ذلك في قصـائد امرئ القيس، والحوار الذي دار بين سـيف الدولة والمتنبي في رد عجز البيت الأوّل للثّاني وعجز البيت الثّاني للأوّل، وعلق على ذلك قائلا: "وهو يعني بهذا أن وجوه المناســبة في نظم الكلام تختلف وتتعدّد، وإنّ بعضاً يكون أرجح من بعض"[1].

8.{عوجا}: يصفون سبيل الله بأنه معوج، لذا أتت كلمة "عِوج" بالكسر الفاء، التي تدل على الاعوجاج في الأمور المعنوية، أما العَوج بالفتح فيســتعمل غالبا في الأمور الملموســة، قال ابن عطية: "قال كثير من أهل اللغة: العوج- بكســـر العين- في الأمور وفي الدين، وبالجملة في المعاني، والعوج- بفتح العين- في الأجرام"[2]، وقد يستعمل بالكسر في الأمور المعنوية أحيانا لدلالات بلاغية، من ذلك قوله تعالى: {وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا} [طه: 105-107] وعلل الزمخشري ذلك بأنه الأنسب والأبلغ؛ لأنه لو عمدت إلى أي قطعة أرضية وبالغت في تسويتها، وعرضتها

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8ب، ص248.

[2] **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص323.

على عيون الخبراء واتفقوا على أنها مستوية تماما، ثم استطلعت عليها مهندسا يعرض استواءها على الأجهزة الهندسية الدقيقة، لعثر فيها على اعوجاجات كثيرة، فنفى الله هذا الاحتمال بهذا التعبير الرصين المتين[1].

10. تميز أسلوب قصة شعيب –عليه السلام– في سورة الأعرف بورود صيغ الطلب كثيرا، وأخص بالذكر هنا الأمر، حيث جمعت هذه الآية بين أمرين وهما: الأمر بالتذكر، وبالنظر، لأنهما من أكبر وسائل التأثير والإقناع التي تخاطب الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لأن الذكر يخاطب الجانب الفكري؛ لاسترجاع ما كانوا عليه من ذل وهوان وضعف وقلة في المال والعدد والعدة[2]، مما يقتضي الامتثال والاستجابة لهذه الدعوة حتى يضمنوا بقاء تلك الآلاء واستمرارها، والنظر يخاطب فيهم الجانب الحسي الملموس المشاهد بالعين المجردة، من هلاك الأمم المجاورة لهم والقريبة منهم زمانا ومكانا، مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط المؤتفكة[3]، لتجمع الآية بين الدليل العقلي والنقلي، لكي تقنع من يؤمن منهم بالنظر الحسي ويتعظ بما وقع للأمم المجاورة لهم، والنظر العقلي بالتفكر والتأمل فيما أصبغ الله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، وقد جعل الله النظر في عاقبة الأمم السابقة من أهم طرق المعرفة، ومما يشهد لذلك قوله تعالى: {قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ} [آل عمران: 137] والسير المأمور به هنا في الموضعين، يعم جانبين:

---

(1) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص88.

(2) ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د.ت) ج2، ص239.

(3) **البحر المحيط**، ج5، ص109.

الأول: الجانب العقلي الذي يدرك بدراسة علم التاريخ وعلم المجتمعات البشرية.

الثاني: مادي بالسير الفعلي، والنظر في القوانين الكونية التي تحكم الحضارات الإنسانية، للعبرة والعظة[1].

[1] ينظر المجيدي: عبد السلام مقبل، عاقبة المنذرين السنن الإلهية في تداول الأيام وقيادة الحياة دراسة تطبيقية على سنن التغيير والبناء والعاقبة، ص71-72.

المطلب الثالث

انتظار حكم الله

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87] فصلت القول في الانقسام الحاصل بين قوم شعيب –عليه السلام– وتهديد الطائفة الزائغة عن نور الهدى والبيان بالوعيد في العاجلة قبل الآجلة، ومن الدلالات الواردة فيها، ما يلي:

1. لم يحدد شعيب –عليه السلام– الطائفة المؤمنة من الطائفة الضالة، بل تركها مبهمة، وهذا الأسلوب من ألطف ما يكون في طريقة الحوار؛ لأنه يعطي الفرصة للخصم ليراجع نفسه وموقفه، بالإضافة إلى ما يشتمل عليه من احترام للمخالف في الرأي، والمجادلة بالتي هي أحسن، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ونظير هذا أيضا قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ:24].

2. عطفت الطائفة الثانية على الأولى، وتبعتها في الحكم الإعرابي الذي هو الرفع، لأنها اسم كان، وعطف لم يؤمنوا، على آمنوا الذي هو خبر كان، فعطف المرفوع على مثله والمنصوب على نظيره، وهذا كقولنا: كان محمد ذاهبا وعمر خارجا، وحذف وصف الطائفة الثانية لقرينة دلالة وصف الطائفة الأولى عليه،

والتقدير هو: "وطائفة منكم لم يؤمنوا"[1]، كما حذف أيضا متعلق الإيمان في الثانية لدلالة السابق عليه، والتقدير: "لم يؤمنوا بالذي أرسلت به"[2].

3. لمن وجه الخطاب في قوله تعالى: {فاصبروا حتى يحكم الله بيننا}؟

اختلف أهل التفسير في ذلك، فقيل هو خطاب موجه للكفار من قوم شعيب على سبيل التهديد والوعيد[3]؛ لإظهار هوان الكفار، وحكم الله هذا قد يظهر في الدنيا، وقد يؤجل إلى الآخرة لمزيد من الأجر والثواب للمؤمنين الموقنين، وقد قال شعيب –عليه السلام – ذلك وهو موقن بتحققه؛ لأن الله وعد رسله بالنصر.

وقيل هو للفريقين معا وهو الراجح، فيكون الأمر بالصبر للمؤمنين منهم على سبيل الظفر والنصرة، وللكفار منهم على سبيل التهديد لما سيحل بهم من العذاب المهين[4]، فيكون شعيب –عليه السلام– بذلك وصل مع قومه إلى آخر نقطة لا يمكن أن يتجاوزها، كما قال سيد قطب وهي: "الانتظار والتريث والتعايش بغير أذى، وترك كل وما اعتنق من دين حتى يأتي حكم الله"[5] الذي لا راد لقضائه.

---

(1) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج5، ص377.

(2) المرجع السابق، ج5، ص379.

(3) ينظر ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص 427؛ السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج5، ص377.

(4) ينظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص128.

(5) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج8، ص1318.

وذكر رشيد رضا أن حكم الله نوعان[1]:

أ. حكم شـــرعي: وهو الذي يوحيه إلى الرســـل ليبلغوه لأممهم، وذلك كقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَحكُمُ مَا يُرِيد} [المائدة:1] بعد أن أمر بالوفاء بالعقود، وذكر ما أحل من الأنعام وما يحرم منها.

ب. حكم فعلي: وهو الذي يفصـل فيه بين الخلائق وفق ما تقتضـيه سـننه وعدله، وذلك كقوله تعالى في معرض الحديث عن تبليغ دعوة محمد صـلى الله عليه وسـلم: {قل إنما يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وأن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون إنه يعلم الجهر من القول ويعلم مـا تكتمون وإن أدري لعلـه فتنـة لكم ومتـاع إلى حين قـال رب احكم بـالحق وربنـا الرحمن المستعان على ما تصفون} [الأنبياء: 108- 112].

4. قال تعالى: {وهو خير الحاكمين} أتي بصـيغة التفضـيل ليدل على أن هناك حكاما يحكمون، لكن حكمهم ليس دائما صـــائبا، أما حكم الله عز وجل فهو في غاية الصـــواب، وبلغ القمة في الحكمة لأنه لا تخفى عليه خافية، فهو {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصـــدور}، كما يفهم منه أيضـــا الدلالة على الحقيقة، إذ قد يسـمي بعض الناس حاكما على سـبيل المجاز، والله هو الحاكم الفعلي الحقيقي الذي لا يتصـور في حكمه حيف وجور[2].

---

[1] **تفسير المنار**، ج8، ص 476.

[2] ينظر الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج1، ص494.

المطلب الرابع

التهديد بالطرد

قال تعالى:

(قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ) [الأعراف: 88].

1. وَرَد رد قوم شعيب على نبيهم شعيب –عليه السلام– بصيغ مختلفة مع أن المحكي واحد، قد يكون السبب في ذلك أن القرآن حكى عن مواقف مختلفة في أزمنة متباينة وقعت بين شعيب عليه السلام وقومه، فكل مرة يجادلونه بأسلوب مختلف، فحكت لنا هذه السور مجموع ما قالوه، ويحتمل أن يكون السبب في ذلك حكاية أقوال الطوائف والجماعات التي انقسم إليها قوم شعيب –عليه السلام–[1].

ويلاحظ أن كل سورة تحكي مواقف متشابهة لقصص الأنبياء المذكورين فيها مع أممهم، فمثلا سورة الأعراف ذكرت أن قوم شعيب هددوا نبيهم بالإخراج والطرد، وهذا قريب أيضا مما هدد به قوم لوط نبيهم {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ} [الأعراف: 82]، ونفس الشيء ينطبق على سورة هود، حيث كان رد قوم شعيب هو: {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ

---

[1] ينظر: تهاني بنت سالم، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب**، ص 402– 403.

ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ} [هود: 87] وهو قريب من قول قوم صالح – عليه السلام– في نفس السورة حين قالوا: {أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ} [هود: 62]

ورد القول مستأنفا في الموضع الأول من سورة الأعراف، عند قوله تعالى: {قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ} [الأعراف: 88] بينما نجد الموضع الثاني ورد معطوفا بالواو، حيث قال تعالى: {وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ}[الأعراف: 90] ولعل السبب في ذلك أن القول الأول أتى مستأنفا في هذه السورة وفي سورة هود والشعراء لأنه جواب عن سؤال مقدر يفهم من خلال دلالة السياق، أما القول الثاني فهو معطوف على القول الأول، ولم يرد مفصولا "كما فصلت التي قبلها لانتهاء المحاورة المقتضية فصل الجمل في حكاية المحاورة"[1].

4. وصف الله –عز وجل– الملأ في المرة الأولى بالاستكبار، وفي المرة الثانية بالكفر مع أنهم قوم واحد.

قيل وصف الملأ في المرة الأولى بالتكبر لأنه هو الملائم لمجادلتهم نبيهم، واعتبارهم إياه ضعيفا فيهم، لا مال له ولا مناصر، ووصفهم بالكفر في المرة الثانية ليدل على تصلبهم في غيهم، وأنهم قوم لا يتعظون، فحصل بمجموع الآيتين أنهم كافرون ومستكبرون[2].

---

[1] الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج9، ص12.

[2] ينظر المرجع السابق، ج9، ص 13.

5. خير قوم شـعيب نبيهم ومن آمن معه بين شـيئين: إما الخروج من القرية، وذلك ما جرت به عادة الأمم العاتية غالبا، حيث يقومون بطرد انبيائهم واتباعهم، وذلك كما وقع للوط –عليه السلام حين قال له قومه: {قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ} [الشـعراء: 167] ونفس الشـيء وقع لمحمد –صـلى الله عليه وسـلم–مع كفار قريش، قال تعالى: {وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ} [الأنفال: 30]، لكن الشيء الملفت للنظر هو الخيار الثاني الذي هو طلب العود في ملتهم الباطلة، فكيف يفسر الرجوع إلى الملة مع أن الله عصم أنبياءه من الشرك؟

قيـل هو من بـاب التغليـب: وذلـك أنهم لمـا قـالوا: {لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُـعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ} [الأعراف:88] فعطفوا على شـعيب –عليه السـلام– من آمن معه، وربما كان منهم من سـبق له أن كان في ملة الكفر، فغلبوا الجماعة على الواحد، وعلى هذا أيضـا جرى جواب شـعيب –عليه السـلام– حين قال: {إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ} [الأعراف: 89] فهو يقصد عود قومه من باب التغليب[1].

وقيل: إن عاد في سنن العرب تأتي على وجهين:

أ. إعادة الشيء إلى الحالة التي كان عليها قبل ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ} [الأنعام: 28]، وقول الشاعر:

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 129.

فإن تكن الأيام أحسن مرة إليّ فقد عادت لهنّ ذنوب [1]

ب. أن تكون بمعنى صار عاملة عملها، لكن دون أن تضمن أن هذه الحال كانت متقدمة، وذلك كقوله تعالى: {وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ}[يس: 39]، ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[2]

وقيل إن رؤســـاء القوم قالوا ذلك لأجل التلبيس على العامة، وإيهامهم بأن شـــعيبا –عليه السلام– كان على ملتهم[3]. حاشاه وهو من المعصومين أن يتصور فيه ذلك.

أبرز نتائج هذا الفصل:

1.ركزت سورة الأعراف أكثر على التوحيد لأنها –والله أعلم– كانت تحكي عن بداية دعوة شعيب – عليه السلام. ثم النهي عن الفساد في الأرض بشتى الأنواع بصفة عامة، وعلى التطفيف بشكل خاص.

2.كل قصص سورة الأعراف يبدأ بعبارة: (وإلى) مثل: وإلى عاد، وإلى ثمود، وإلى مدين.

3.هدد قوم شعيب نبيهم بالطرد، كما هدد به قوم لوط نبيهم.

---

[1] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص 427؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج14، ص 316.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص 428.

[3] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص 112.

4.انفردت سورة الأعراف –من بين كل السور التي ذكرة قصة شعيب– بذكر طلب قوم شعيب نبيهم ومن آمن معه بالرجوع إلى ملتهم الضالة بدل الطرد.

الفصل الثاني

ورود قصة شعيب في سورة هود

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: ورود قصة شعيب في سورة هود.

المبحث الثاني: أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة هود.

المبحث الأول

ورود قصة شعيب في سورة هود

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بين يدي السورة

المطلب الثاني: محور سورة هود وأسلوبه وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

المطلب الأول

بين يدي السورة

سميت هذه السورة بسورة هود؛ لاشتمالها على قصة هود –عليه السلام– وقد ورد تسميتها بالاسم نفسه في الحديث الشريف، حيث روي أن أبا بكر –رضي الله عنه– قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ؟ قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[1] قال ابن عاشور: "لا يعرف لها اسم غير ذلك"[2].

وسورة هود مكية بالإجماع في رأي الجمهور[3]، وقيل مكية كلها إلا آية واحدة[4]، وهي قوله تعالى: {وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ} [هود: 114]، وقال ابن عطية هي مكية إلا ثلاث آيات، وهي قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ} [هود: 12] ، وقوله: { أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} إِلَى قوله: {أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [هود: 17] فرأى أنها نزلت في عبد الله بن سَلَام وأصحابه، وَقَوْلُهُ: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ} [هود]، فهي في شأن الثمار[5].

---

(1) أخرجه الترمذي في **السنن**، كتاب التفسير، باب من سورة الواقعة، ج5، ص400، رقم (3297)، وقال: حديث حسن غريب.

(2) التحرير والتنوير، ج11، ص 311.

(3) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص 30؛ البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص170.

(4) البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج، ص170؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص 311.

(5) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص 148.

ولعل أن من قال إن فيها آيات مدنية اعتمد على أسباب النزول، حيث يمكن الاستدلال بسبب النزول على قصة مشابهة وإن بعد زمن نزولهما، رد ابن عاشور على هذا الالتباس ورجح أنها مكية كلها، قائلا: "والأصح أنها كلها مكية وأن ما روي من أسباب النزول في بعض آيها توهم لاشتباه الاستدلال بها في قصة بأنها نزلت حينئذ"[1].

وعدد آياتها مئة وإحدى وعشرون في العد المدني الأخير والمكي والبصري، واثنان في العد المدني الأول والشامي، وثلاث في العد الكوفي[2].

موضوعات السورة:

اشتملت هذه السورة على عدة موضوعات، من أبرزها:

بيان حقيقة القرآن الكريم وتحديه للثقلين وعجز العرب مع توافر الدواعي عن معارضته والإتيان بمثله، واطلاع الخالق على ضمائر كل المخلوقات، وتأكيد أن الله تعالى ضمن لسائر المخلوقات الأرزاق، كما عرجت السورة عن خلق العرش، وإقبال أهل الكفر على الدنيا ونسيانهم الآخرة، وصراعهم مع أهل الإيمان، وفصلت القول في قصة نوح –عليه السلام– خصوصا في واقعة الطوفان، وما وقع لعاد قوم هود، وما حصل من دمار ثمود قوم صالح، وبشارة الملائكة إبراهيم –عليه السلام– وزوجته بولادة إسحاق، وما وقع للوط –عليه السلام– مع قومه لما رأوا الضيوف الذين زاروه، وذكر مناظرة أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب–عليه

---

[1] **التحرير والتنوير**، ج11، ص 312.

[2] أبو عمر الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص 165.

السلام– وسرد قصة موسى مع فرعون الذي يكون مقدم اتباعه إلى النار، لتتحدث السورة عن أحوال القيامة، والفصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، لتختتم السورة بأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالاستقامة والمحافظة على الصلاة، والطهارة، وبيان أن قصص الأنبياء ذكرت لتثبيت فؤاده –صلى الله عليه وسلم–، والأمر بالتوكل على الله والاعتماد عليه في كل الأحوال[1].

[1] ينظر الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص 247. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص 313.

المطلب الثاني

محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

أ. محور السورة عند البقاعي:

1. وصف القرآن الكريم بالإحكام والتفصيل الذي تميز به سواء في حالة البشارة أو النذارة في العاجلة والآجلة، ومما يتناسب مع هذا المحور قوله تعالى في قصة هود –عليه السلام–: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: 12].

2. عناية الخالق بكل المخلوقات التي تدب على الأرض، مما يظهر قدرته تعالى على كل شيء من بعث ونشور، وإحاطة علمه بكل شيء، مما يوجب انفراده بالملك[1].

ب. محور السورة عند الفراهي:

اعتبر أن عمود هذه السورة يركز على الآتي:

1. ردع وتخويف أهل مكة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: 100].
2. الأمر بالصبر، والنيل من الكفار تأهبا للهجرة، وما يترتب عنها من النصر.

---

[1] البقاعي، نظم **الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج9، ص224؛ **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص170.

3. إثبات أن الكفر بالبعث والنشـور، والشـرك بالله يؤول إلى فسـاد الأخلاق بشـكل كلي، فيتحتم عليهم الهلاك والدمار، ويتحقق نصر المؤمنين[1].

ج. محور السورة عند راشد رضا:

يرى أن سـورة هود ويونس تعالجان موضـوعا واحدا، وهو عقائد الإسـلام في مجال الإلهيات والنبوات.

تخللتها مواضـــع أخرى فرعية، حيث فصـــلت السـورة ما أجمل في ســابقتها –يونس– من قصـــص الأنبياء، ودعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– وبيان وظيفته فيها، التي هي البشارة والنذارة.

وختمت بدعوة الناس عامة إلى اتباع ما جاء به، وأمرته بالصـــبر على ما لقيه من أذى –اتهامه بأن القرآن من افترائـه– حتى يحكم الله بينـه وبين الكفار، والاســـتقامـة على عبادتـه والتوكل عليـه في كل الأحوال[2].

د. محور سورة عند سيد قطب:

يرى أن هدف سـورة هود هو اسـتعراض الحركة العقدية الربانية في تاريخ البشـرية، لذا نلفي السـورة تضم ثلاثة مقاطع متميزة، وهي كالتالي:

الأول: يشتمل على حقائق العقيدة في مقدمة السورة، وتشغل حيزا محدودا من السورة.

الثاني: يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ، وهي التي أخذت معظم آيات السورة.

---

[1] ينظر الفراهي، **دلائل النظام** ص 94.

[2] ينظر رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص3.

الثالث: يحتوي التعقيب على هذه الحركة، في جزء محدود من الآيات.

تتناسق كل موضوعات السورة في تقرير الحقائق العقدية التي يستهدفها السياق الكلي للسورة، رغم اختلاف طريقة التناول من تقرير وتوجيه، وقصص الأنبياء جيء بها لتكون مثالا لتصديق الحقائق العقدية التي تقررها السورة، والحقائق المحورية التي تدعو إليها، وهي:

1. أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعة مما جاءت به الأنبياء قبله، وكلهم مجمعون على حقيقة واحدة، وهي: "الدينونة له وحده بلا شريك"[1].
2. الترغيب في خيري الدنيا والآخرة لمن لبى دعوة الرسل –عليهم السلام– وما تحمله للبرية من صلاح وفلاح، والترهيب بالحرمان من متاع الدارين، وبالعذاب الآجل أو العاجل للمعرضين عن المرسلين السالكين سبل الطواغيت.
3. صور النفس البشرية في مواجهة الأحداث الجارية في السراء والضراء، فيرفع للمكذبين صور أنفسهم وهم يصارعون ما يستعجلون به من العذاب، وفلت النعماء من بين أيديهم، قال تعالى: {وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}[هود: 8].
4. تضم مشاهد يوم القيامة، ومواجهة الكفار لربهم الذي كذبوا بما بعث به رسله، وما ينالونه إذ ذاك من خزي، فما لهم من شفعاء، قال تعالى: {وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} [هود: 18].

---

[1] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 12، ص 1844.

5. اســـتعراض موكب الإيمان الذي يقوده الرســـل على مدى التاريخ، وما يواجههم من جاهلية عمياء، وهم يقاومونها بكل يقين وثقة وطمأنينة[1].

هـ. محور سورة عند الطاهر بن عاشور:

1. يرى أن السورة افتتحت بالحروف المقطعة التي تومئ إلى تحدي القرآن الكريم للكفار، والتنويه بمكانة.
2. والنهي عن عبادة غير الله تعالى، وإنذار النبي –صلى الله عليه وسلم– للمشركين بعذاب عسير، وتبشير المؤمنين بعاقبة حسنة. كما تؤكد السورة على إثبات الحشر، وأن البارئ تعالى لا تخفى عليه خافية، وأنه مطلع على ما تخفي الصدور، وأنه مدبر أمور كل المخلوقات، ومبدع الأكوان من عدم، وأن مرجع الناس إليه للحساب.
3. تثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– ليصبر على ما أصابه من أذى المشركين، الذين يدعون أن القرآن من تأليفه، وطلبوا منه أن يأتيهم بآيات مخالفة لسنن الكون وفق أهوائهم كقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [هود: 12] وتحداهم بالإتيان بآية واحدة مثله، فظهر خذلانهم وجدارتهم بعذاب الآخرة.
4. ذكرت السورة أقران الكفار من الأمم البائدة، كقوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم ومدين ولوط وموسى، وختمت السورة باستئناس النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذه القصص، وأمرته بالاستقامة، والاستمرار على الدعوة إلى الصلاح الذي هو أساس كل فلاح[2].

---

[1] ينظر سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج12، ص1848.

[2] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج11، ص 313.

د. موسوعة التفسير الموضوعي:

يدور محور هذه السورة حسب الموسوعة حول مسألة الألوهية، وترسيخ العقيدة في روع المدعوين، لذا كثر فيها حوار الأنبياء مع أقوامهم، ورتبت السورة حقائق العقيدة وحركتها عبر الزمان، واختتمت بالتعليقات على الحكم المستفادة من سياق السورة تقوية لرسول –صلى الله عليه وسلم– ليتحمل ما ناله من ضغط ومعاناة عند الدعوة[1].

هـ. التعليق على محور السورة:

يكاد المفسرون أن يجمعوا على أن محور سورة هود يرتكز على العقيدة، كما هو شأن أغلب السور المكية، إلا أنهم اختلفوا في بعض المواضيع الفرعية التي تعالجها السورة، فكل مفسر ينطلق من آيات مفتاحية يعتبرها هي الخيط الناظم المكمل للمحور الرئيسي، فالمواضيع المكملة للمحور الأساسي عند البقاعي هو وصف القرآن الكريم المعجز بالإحكام والتفصيل، وقد وافقه ابن عاشور في هذا الموضوع، بالإضافة إلى عناية الله تعالى بكل المخلوقات التي تدب على وجه الأرض، بينما اعتبر رشيد رضا وابن عشور أن القصص القرآني وما يدعو إليه من الوعد والوعيد، والدعوة إلى اتباع ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– هو الموضوع المكمل لمحور السورة، وأضاف سيد قطب المشاهد التي تصورها السورة من أصناف عذاب المكذبين ونعيم المنعمين، وصور النفوس البشرية، واتفقت معه موسوعة التفسير الموضوعي في مسألة ترتيب

---

[1] مصطفى مسلم وآخرون، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج3، ص446.

العقيدة عبر الزمان، وربط الفراهي أحداث السورة بتقوية النبي –صلى الله عليه والسلام– والصحابة –رضوان الله عليهم– تأهبا واستعدادا للهجرة النبوية.

عند إمعان النظر فيما ذكره كل مفسر تجده مرتبطا بجزء مما ذكرته السورة، ويندرج تحت أهداف السور المكية، وما ينسجم مع تلك الحقبة التي تحتاج إلى عزيمة قوية وإيمان راسخ، يثبت المسلمين أمام الضغوطات التي تمارس عليهم بشتى الأشكال، وأفضل ما يمكن أن يقوي شوكتهم استماعهم لأخبار الأمم السابقة التي يتلوها عليهم هذا القرآن الذي أعجز الجن والإنس آيات منه.

وبناء عليه يترجح لدي ما ذهب إليه الفراهي، من أن محور السورة هو ردع أهل مكة وتسلية النبي – صلى الله عليه وسلم– لا سيما وأن السورة نزلت قبيل حادثة الإسراء والمعراج، وما يحيط بذلك من أحداث جسام كموت أبي طالب والسيدة خديجة –رضي الله عنها–.

علاقة قصة شعيب بمحور السورة وموضوعاتها:

والعلاقة التي تربيط بين قصة شعيب –عليه السلام– ومحور سورة هود، وبين القصص الآخر الوارد فيها، تكمن في توضيح الحواجز التي تعرقل سبيل الدعوة إلى الله، وتصوير المعاناة التي يعانيها الأنبياء – عليهم السلام– والعذاب الذي يطالهم من أممهم، من تهديد وطعن وشتم، واستنقاص، ومع ذلك يشقون طريقهم بكل حزم وهدوء ورزانة وثقة، فلا يلجؤون إلى الاستسلام، ولا إلى الغلظة والفظ، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: 5] فكل الأنبياء الذين تم ذكرهم في السورة على نفس المبدأ، قاوموا وصبروا على ما نالهم حتى أتاهم نصر الله، فكانت هذه السورة تقوية للنبي صلى الله عليه وسلم في

الفترة الحرجة التي يمر منها، جراء ما حصل له من الطائف، بالإضافة إلى فقده عضديه خديجة –رضي الله عنها– وعمه أبي طالب، كما يبن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:115] خصوصا وأن من أهداف القصص القرآني تقوية قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– مصداقا لقوله تعالى: {وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين} [هود: 120].

علاقة مقطع قصة شعيب وتاريخ نزوله بالسيرة النبوية:

يرى أصحاب المغازي والسير أن ظروف هذه السورة امتداد للظروف التي نزلت فيها سورة الأعرف، حيث نزلت بعدها بفترة وجيزة، ورجحوا أن نزولها كان بعد حادثة الإسراء والمعراج، لأنها نزلت بعد سورة الإسراء[1]، وقبيل الهجرة بفترة وجيزة[2]، وتعتبر هذه الحقبة من أحلك الحقب، لأن فيها ماتت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– التي تؤازره، وكذلك عم النبي –صلى الله عليه وسلم– أبو طالب الذي يدافع عنه، فنال المسلمين في هذه الفترة أذى كبيرا، حيث شن المشركون غاراتهم على المسلمين وضايقوا عليهم الخناق في كل مجالات الحياة، سواء الاقتصادية أم الاجتماعية، قال ابن إسحاق: "ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة – التي كانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ما أصابه فتقويه –وبهلك عمه أبي طالب– وكان له

---

[1] طنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط، (الرسالة، ط2، 1987م) ج 7، ص 148.

[2] ينظر جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج4، ص 65.

عضـدا وحرزا في أمره، ومنة وناصـراً على قومه، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سـنوات"[1] فصـورت هذه السورة تلك الفترة على أكمل وجه.

[1] ابن هشام: أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، (دار الصحابة للتراث، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، د.ت، 1990م) ج2، ص 145.

المبحث الثاني

أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة هود

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: استهزاء قوم شعيب عليه السلام بنبيهم.

المطلب الثاني: دعوة شعيب عليه السلام قومه بالحسنى.

المطلب الثالث: تهديد قوم شعيب عليه السلام نبيهم.

المطلب الرابع: وعيد شعيب عليه السلام قومه بالهلاك.

المطلب الأول

استهزاء قوم شعيب عليه السلام بنبيهم

قال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيّٗاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ} [هود: 84-95].

سيتمحور الكلام حول الدلالات التي لم يتم ذكرها في سورة الأعراف، يتسم أسلوب قصة شعيب – عليه السلام– في سورة هود بالحوار بين القوم ونبيهم، ويطغى على هذا النقاش أسلوب الطلب، وتحديدا الأوامر والنواهي، كما سيتبين في الدلالات التي ستأتي، وقد ورد ترتيبها في هذه السورة في المرتبة الخامسة، بعد ذكر قصة نوح وهود وصالح ولوط –عليهم السلام–.

ويلاحظ أن قصة شعيب –عليه السلام– حيثما ذكرت في القرآن الكريم تأتي بعد قصة لوط، سواء في السور التي ذكرت فيها قصتهما بشكل مفصل، كما في سور الآتية:

1.الأعرف [من الآية: 80 إلى 84].

2. وسورة هود، من [الآية: 76 إلى 83].

3.والحجر، [من الآية 56 إلى 77].

4. وسورة الشعراء [من الآية 165 إلى 175].

5. وأيضا سورة العنكبوت [من الآية 27 إلى 35].

والأمر نفسه ينطبق حتى على السور التي ذكر فيها ذكر لوط وشعيب –عليهما السلام– عرضا، وذلك في الآيات التالية:

1.سورة الحج قال تعالى: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الحج: 42-44].

2.سورة ص قال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ } [ص: 12-13].

3.سورة ق قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ}[ق: 12-14].

وقد أتى الترتيب بعكس ذلك في سورة التوبة عند قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [التوبة: 70] حيث قدم مدين الذين هم قوم شعيب على المؤتفكات الذين هم قوم لوط.

أولا: يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: ما سر إتيان قصص هؤلاء الأنبياء بهذا الترتيب في هذه السور؟

قوم نوح، ثم قوم هود، ثم قوم صالح، ثم قوم إبراهيم ولوط، ثم قوم شعيب، ثم قوم موسى.

الجواب هو أن هذه السـور تراعي الترتيب الزمني لهؤلاء لأقوام، فتبدأ بالأقدم فالأقدم، كما يفهم ذلك من بعض العبارات التي ترد غالبا بين كل قصـة وقصـة، كقوله تعالى: {وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ} [الأعراف: 69] قوله: {وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ} [الأعراف: 74] وقوله عز وجل: {ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔـايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ } [الأعراف: 103] وقد أكد أيضـا هذا الترتيب بعض المؤرخين، كالطبري[1]، وابن كثير[2]، وابن خلدون[3]، وهذه الأمم المذكورة في هذه السور بأنها مهلكة بعذاب مستأصل، ترجع إلى فترة ما قبل نزول التوراة؛ لأن المعروف عند أهل العلم أن الله لم يعذب أمة بأكملها بعذاب من السـماء كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وغيرها بعد نزول التوراة، بل أمر المسـلمين بالجهاد[4]، قال تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَـى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ

---

[1] الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، (بيروت: دار التراث، ط2، 1387هـ) ج 1، ص 325.

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسين التركي، (دار هاجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997) ج1، ص 427.

[3] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1988) ج2، ص49.

[4] ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن حمدان، (السعودية: دار العصمة، ط2، 1999) ج2، ص 251.

بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: 43] قال ابن كثير: "وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين"[1].

ثانيا: لماذا قدمت قصة قوم لوط على قصة قوم شعيب في كل القرآن إلا في سورة التوبة؟

نصت كتب التفسير على أن قوم لوط أسبق من حيث الزمان على قوم شعيب، وتقديم قوم شعيب في سورة التوبة لا يفهم منه الترتيب الزماني؛ لأن المعطوفات كلها بالواو التي لا تفيد لا ترتيبا ولا تعقيبا، وإنما هي لمطلق الجمع بين المعطوفات فقط[2]، إلا أن المدة الزمانية التي بينهما قليلة جدا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ} [هود: 89] لكن آراء المفسرين متباينة في تفسير معنى هذا القرب، وانقسموا فيه إلى ثلاثة أقوال:

أ. أن المقصــود بالقرب هو القرب الزماني، وقد اختار هذا القول الزمخشــري، قائلا: "يعنى أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم، فهم أقرب الهالكين منكم"[3].

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص476.

[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج3، ص 505.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص422؛ الواحدي: أبو الحسن علي بن محمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، ط1، 1415هـ) ص 553.

ب. القرب المكاني، لأن منازل قوم شـــعيب مجاورة لمنازل قوم لوط، قال البغوي: "وذلك أنهم كانوا جيران قوم لوط"[1]، حيث كانوا بعدهم بمدة قريبة[2].

ج. أنهم متقاربون في الكفر والمعاصـــي، قال الزمخشـري: "يبعدون منكم في الكفر والمســاوي وما يســتحق به الهلاك"[3].

والرأي الراجح عند الطبري[4] وابن عطية[5] وغيرهما، هو أن شـــعيبا –عليه الســـلام– ضـــرب لهم المثل بالأقرب منهم زمانا ومكانا ليتعظوا بهم، وينظروا ببصرهم وبصيرتهم منازل قوم لوط، وما سمعوه من أخبارهم، حتى لا يحذوا حذوهم، فيحل بهم ما حل بهم، قال الماوردي: "ويحتمل أن يكون مراداً به قرب الدار وقرب العهد"[6].

ثالثا: ما الدلالة التي ورد لها مصطلح الصلاة في قوله تعالى: {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ} [هود: 87]؟

يحتمل أن يراد بها وجوه ثلاثة، حسب الجذر اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

---

[1] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، (دار الطيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1997م) ج4، ص196.

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج1، ص427.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص422.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص 456.

[5] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص 202.

[6] الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص498.

1. المعنى اللغوي، ويعني الدين الذي تدينت به، وأمرت بالتقيد به واتباعه؛ "لأن أصل الصلاة الاتباع، ومنه أخذ المصلي في الخيل"[1]، ويندرج تحت هذا القول من قال إن المراد بالصلاة القراءة[2]؛ لأن القراءة جزء من الصلاة.

2. المعنى الاصطلاحي الذي هو الصلاة التي كان يصلها تعبدا لله تعالى، واستدل القرطبي على هذا الوجه بقول الحسن: "لم يبعث الله نبيا إلا فرض عليه الصلاة والزكاة"[3].

3. المسجد الذي يتعبد فيه شعيب[4] –عليه السلام– وقد سمى القرآن الكريم المسجد بالصلاة عند قوله تعالى: {وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ}[الحج: 40].

ويمكن أن تحمل الآية على كل هذه المعاني كلها، فيكون المعنى: أن الدين الذي جاء به شعيب – عليه السلام– أزعج قومه، كما أثقل عليهم ما فيه من واجبات وقوانين مالية، وما تضمنه من عبادات

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص496.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص442.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص87.

[3] مكي بن أبي طالب: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، تحقيق: الشاهد البوشيخي وآخرون، (مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط 1، 2008 م) ج5، ص 3452.

كالصلاة التي يضايقهم ما يتلوه فيها، كما أستنفرهم مسجده الذي يتفرغ فيه للعبادة، ويؤيد هذا الرأي قراءة حمزة والكسائي وحفص بالإفراد {صلاتك} وفضلوا تقليد أجدادهم بلا حجة تقليد الأعمى على فتح ألبابهم وأبصارهم وبصائرهم لبصائر هدي النبوءة، ظنا منهم أن اتباع نبيهم وما يأمرهم به من القسط سيقطع عليهم ما تعودوا عليه من الترف، فلما تمادوا على غيهم، حق عليهم ما حق على أسلافهم من الدمار.

رابعا: قال قوم شعيب: {أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ} [هود: 87] مع أن شعيبا –عليه السلام– كان ينهاهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون؟

اختلف أهل اللسان في الجواب على ذلك، على قولين:

القول الأول: ذهب بعض أهل البصرة إلى أن معنى ذلك هو: "أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء. وليس معناه: تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء، لأنه ليس بذا أمرهم"[1].

القول الثاني: ذهب بعض أهل الكوفة إلى ما ذهب إليه أهل البصرة، واختار بعضهم رأيا آخر، وهو: جعل الأمر كالنهي، فيكون المعنى: "أصلواتك تأمرك بذا، وتنهانا عن ذا؟"[2]، بهذا التأويل تكون (أن) الأولى منصوبة بقوله تعالى: {تأمرك}، و (أن) الثانية منصوبة بالعطف على (ما) في قوله تعالى: (ما يعبد)[3]. هذا

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص442.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق، ج15، ص442.

كله على قراءة القراء العشرة الذين قرؤوا بنون المتكلم {نشاء}، أما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب {تشاء} فلا إشـــكال فيها؛ لأنه يجوز فيها العطف على مفعول {تأمرك} والعطف على {نترك} فيكون التقدير: "أصـــلواتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء أنت، أو أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو أن نترك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء أنت"[1].

خامســـا: اختلف أهل التأويل في دلالة قوله تعالى: {إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِـــيدُ} [هود: 87] على مذهبين:

المذهب الأول حملوا اللفظ على الحقيقة: وقالوا إن قوم شـعيب اعترفوا بحلم شـعيب –عليه السـلام– ورشده؛ لأنهم لم يضبطوا عليه قط شيئا من خوارم المروءة كالكذب والسفاهة[2]، وشاهدتهم هذه تماثل شهادة قريش في حق نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– وما اتصف به من الصدق والأمانة، ومع ذلك كله رفضوا الانقياد لم جاءهم به، فقالوا له: إن كنت حليما رشيدا فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ فردوا عليه بنفس الطريقة التي رد بها ثمود على نبيهم حين قالوا له: {يَٰصَٰـلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ} [هود: 62].

السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج6، ص 373.

[1] المرجع السابق.

[2] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج6، ص171.

المذهب الثاني حملوا اللفظ على المجاز: وقالوا إن هذا التعبير ليس على حقيقته بناء على قرائن السياق، بل المقصود ضده[1]، من باب الاستهزاء على سبيل الاستعارة التهكمية، كأنهم قالوا: "إنك أنت السفيه الغوي"[2]، أو "الحليم الرشيد عند نفسك"[3]، ومن شدة كرههم لشعيب –عليه السلام– وما جاء به أكدوا الكلام بأربع مؤكدات: صيغة القصر، وإن، ولام القسم، وجملة أنت.

وقد حمل بعض المفسرين[4] كلامهم على النفي رواية عن ابن عباس، كأنهم قالوا: لست بحليم ولا برشيد؛ لأن "العرب تصف الشيء بضده للتطير والتفاؤل. كما قيل: للديغ سليم، وللفلاة مفازة"[5].

عند النظر في هذه الأقوال يمكن أن تتحملها الآية كلها، حيث يمكن أن يقر بعض القوم رغم كفرهم بحلم ورشد شعيب –عليه السلام– والبعض الآخر من شدة كرهه لشريعته وصل به الأمر إلى مرحلة الاحتقار والاستهزاء ونكر رشده وحلمه.

---

(1) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص452.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص 77؛ السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م)، ص 381.

(3) الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد، **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1987م) ص258.

(4) الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص497. ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م) ج2، ص305.

(5) الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق مجموعة من الباحثين، (جدة: دار التفسير، ط1، 205م) ج14، ص 436.

المطلب الثاني

دعوة شعيب عليه السلام قومه بالحسنى

عرف شعيب –عليه السلام– بالفصاحة وحسن المجادلة والخطاب، حتى لقب بخطيب الأنبياء، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا ذكره قال: «ذَاكَ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ»[1] وقد رد على قومه بخطاب مؤدب مهذب عار عن التجريح والتسفيه، دون أن يتأثر بأسلوبهم الجريح المستفز، فناداهم ب {ياقومِ} بالإضافة إليه، ومن أهم الدلالات التي يحتوي عليها خطابه:

الجواب الأول قوله تعالى: {قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ}

أولا: قوله تعالى: {أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ} [هود: 88]:

أ. اختلف في الدلالة التي يعنيها شعيب –عليه السلام–هنا بالرزق الحسن، فقيل:

---

[1] أخرجه الحاكم في **المستدرك**، كِتَابُ تَوَارِيخِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَذِكْرِ مَنَاقِبِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ مَعَ الْأُمَمِ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ذكر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم، ج2، ص620، رقم (4071).

1. ما أعطاه الله إياه من المال الحلال الكثير الخالص من الفساد[1]، الذي اكتسبه بالطرق الشرعية الخالية من البخس والتطفيف، فقد قال الرازي: "فَإِنَّهُ يُرْوَى أَنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ"[2].

2. ما وهبه الله إياه من نعمة النبوءة والحكمة، وعبر عنها بالرزق الحسن على سبيل التشبيه مشاكلة لقولهم: {أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ} [هود: 87] "لأن الأموال أرزاق"[3].

والرأي الأولى بالصواب: هو من قال بأن المقصود به النبوءة، بناء على ما تقدم في السورة نفسها من خطاب الأنبياء، كقول نوح –عليهم السلام–: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: 28] وقول صالح –عليه السلام: {يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ} [هود: 63].

ثانيا: أين جواب (أرأيتم إن) في الآية؟

جواب الشرط محذوف لعلم السامع به، ولدلالة السياق عليه، وحذفه أبلغ من ذكره؛ لتذهب فيه العقول مذاهب شتى، ولإعطاء الفرصة للقوم لإعمال فكرهم ومراجعة موقفهم، وأيضا لتبقى الآية عامة، يندرج تحتها كل المعاني الممكنة، ولهذا نجد المفسرين اختلفوا في تقدير الجواب، على النحو الآتي:

---

(1) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج 3، ص201. الزمخشري؛ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص421.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 18، ص 388.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 12، ص 143.

ابن عطية رأى أن تقديره هو: "أأضـــل كما ضـــللتم وأترك تبليغ الرســـالة؟"[1] وترك الباب مفتوحا لعموم الأجوبة الممكنة فقال: "ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة؟"[2].

وقدر الزمخشـــري الجواب بناء على الجواب الذي ورد في قصـــتي نوح ولوط، فقال والمعنى: "أخبروني إن كنت على حجة واضـحة ويقين من ربى وكنت نبياً على الحقيقة، أيصـح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي؟ والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك؟"[3].

وربط الرازي الجوب بقول قوم شـــعيب: {إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِـــيدُ} [هود: 87] فقال: "لما آتاني جميع السعادات الروحانية وهي البينة والسعادات الجسمانية وهي المال والرزق الحسن فهل يسعني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه في أمره ونهيه"[4]؛ إن ذلك لا يليق بالحليم الرشيد.

وقدره ابن عاشـور على سـبيل التحذير بناء على سـياق الآية قائلا: "وجواب الشـرط محذوف يدل عليه ســـياق الكلام...والتقدير: ماذا يســـعكم في تكذيبي، أو ماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبي، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقا"[5].

---

[1] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج 3، ص201

[2] المرجع السابق.

[3] الزمخشري؛ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص420.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 18، ص 388.

[4] بتصرف ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 12، ص 143.

إن الأقوال التي ذكرها أهل التفسير يمكن أن تكون مرادة كلها، من باب اختلاف التنوع والتوسع، وليس من باب الاختلاف والتضاد، وهذا وجه من وجوه بلاغة القرآن المعجز، الذي لا تنتهي معانيه.

ثالثا: قوله تعالى: {وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ} [هود: 88] حكى ابن عاشور إجماع المفسرين من التابعين ومن بعدهم على أن معنى هذه الآية هو أنه لم أقصد بأوامري ونواهي أن أخالفكم الرأي، فأباشر ما نهيتكم عنه، وأترك ما أمرتكم به[1]، كما يفعل الجبابرة الذين لا يقصدون نصح أممهم؛ لأن دلالة المخالفة إذا ذكرت في غرض تقتضي الاتصاف بضده، فيأخذ كل واحد طريقا مغايرا لطريق الآخر، سواء من حيث القول أو الفعل أو الحال، فيقال إذا خالفه فيما هو تارك له وراغب عنه: خالفه إليه، أما إذا خالفه فيما هو راغب فيه وذاهب إليه ومقبل عليه: خالفه عنه[2]، ومثال ذلك قوله تعالى: {فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: 63]، قال الزمخشري: "يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه ... ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء، يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا"[3] وفي كلتا الحالتين تضمن فعل المخالفة معنى الميل عنه أو إليه، أو الرغبة عنه أو فيه[4].

---

[1] ينظر المرجع السابق، ج12، ص144.

[2] ينظر رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص119.

[3] بتصرف الزمخشري؛ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص420.

[4] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص119.

رابعا قوله تعالى: {إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ}[هود: 88] بعد أن نفى شعيب –عليه السلام– أن يكون هدفه مخالفة قومه في كل ما يتجهون إليه، بين ما يسعى إليه من هدف سام، وهو إصلاح المجتمع دينيا ودنيويا لما فيه خير الدارين.

رابعا: قوله تعالى: {وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ} [هود: 88] يومئ القصر الذي في الآية إلى محض التوحيد[1]، لأنها حصرت التوفيق في المبدأ على التوكل على الله تعالى وحده، كما حصرت المعاد والمرجع إليه وحده فقط، سواء بالتضرع والدعاء[2] في العاجلة، أو بالرجوع بعد البعث في الآجلة، وفيه إيماء إلى ما ينتظر الكفار من عذاب الآخرة، كما يدل على ذلك تقديم الصلة على الفعل في قوله تعالى: {وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ}.

علق البيضاوي على كلام شعيب –عليه السلام– بكلام نفيس قائلا: "ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالى، وثانيها حق النفس، وثالثها حق الناس. وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه"[3].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 18، ص 389.

[2] الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص497.

[2] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج3، ص145.

الجواب الثاني: هو قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ}

أولا: أعاد الخطاب ب: {ياقوم} لما فيه من التحبيب واللين والرفق، لعلهم يسمعوا له سمع طاعة، ويستفاد من هذا التعبير الصادر من خطيب الأنبياء أن الدعوة إلى الله تكون بالتي هي أحسن، باستخدام أسلوب التبشير، والتيسير، والرأفة، والرحمة.

ثانيا: ورد النداء في الآية معطوفا بالواو مع أن الأصل أن يذكر بدون عطف لأن المخاطب به واحد، وإنما يعطف النداء بالواو عندما يكون المنادى مختلفا، وذلك كقول المعري:

يَا ساهر الْبَرْق أيقظن رَاقِدَ السَّمُرِ ... لَعَلَّ بِالْجِزْعِ أَعْوَانًا عَلَى السَّهَرِ

أما إذا كان المنادى نفسه فالشأن فيه أن يذكر بلا عطف، كما هو الحال في قصة إبراهيم عليه السلام، حيث قال تعالى: {إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا} [مريم: 42-45] حيث كرر النداء أربع مرات بلا عطف، لأن المنادى واحد، ولعل تكرار العطف هنا مرده ما ذهب إليه ابن عاشور من أحد الاحتمالات:

أ. "أن يكون العطف من مقول شعيب –عليه السلام– لا من حكاية الله تعالى عنه"[1].

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج 12، ص 54.

ب. "أن يكون تنبيها على اتصـــال النداءات بعضـــها ببعض، بحث لا يمكن أن يغني أحدها عن الآخر، فتكون من قبيل الوصـــل؛ لأن جمل النداء اســـتئنافية، وعطفها إذا عطفت مجرد عطف لفظي"[1].

ج. أن يكون هذا التعبير من الأســاليب العربية التفننية، من باب تكرار النداء لأجل المخالفة بين التأكيد والمؤكد استحسانا[2].

ثانيا: قوله تعالى: {شِقَاقِيَ} فيها ثلاث تأويلات:

أ. قال السـدي إنه بمعنى: خلافي وعداوتي[3]، فكأن شـعيب –عليه السـلام – وما يدعو إليه في شـق، وقومه وما يتبعونه في شق آخر.

ب. وقال الحسـن هو بمعنى: عداوتي وضـرري[4]، فكأنه بهذا المعنى مشـتق من المشـقة، ومن ذلك قول الأخطل:

ألا من مبلغ قيساً رسولاً فكيف وجدتم طعمَ الشقاق

ت. وقال قتادة معناه: فراقي[5]، فيكون بهذا المعنى مشتقا –والله أعلم– من شق بمعنى قطع.

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

[3] الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص498.

[4] المرجع السابق.

[5] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص199.

رابعا: قوله تعالى: {أَن يُصِـــيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَـــابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰـــلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} لماذا أنذر شعيب –عليه السلام– قومه بهذه الأمم المذكورة تحديدا؟

يحمل ذلك على أحد الوجهين:

أ. أن يكون قوم شعيب من الأقوام التي لا تؤمن بالبعث والنشور، فلجأ إلى إنذارهم بمن هلك قبلهم من الأمم السالفة الذكر، التي سمعوا بأخبارها لاسيما القريبة منهم زمانا ومكانا؛ لأنه لو أنذرهم بالحشر لما نجح في ذلك لأنهم ينكرونه أصلا جملة وتفصيلا.

ب. أن يكون شعيب –عليه السلام– قد أنذر قومه بتلك الأمم؛ نظرا لإماعتهم وطاعتهم العمياء لآبائهم، والتقليد الأعمى لأجدادهم في عبادة الأوثان، وتكذيبهم الرسل بلا حجة واضحة، أو برهان ساطع قاطع، مصدقا لقوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم} [الزخرف:23]

فكأنه قال لهم: " إنكم تقلدون آباءكم الذين عبدوا الأوثان وقد هلكوا، فهلا تقلدون من لم يعبد منهم ونجا وقد أعرفتم أن من هلك منهم بم هلك؟ ومن نجا منهم بم نجا؟"[1].

رابعا: قوله تعالى: {وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} لماذا قال تعالى: {ببعيد} ولم يقول ببعيدين لتتم المطابقة بين (قوم وبعيد) من حيث الجمع والإفراد؟

---

[1] الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج6، ص173.

أجاب صاحب الكشاف على هذا السؤال من وجهين:

أ. أن يكون التقدير ما إهلاكهم شيء بعيد.

ب. "يجوز أن يسوى في قريب وبعيد، وقليل وكثير، بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما."[1]

[1] الزمخشري؛ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص422.

المطلب الثالث

تهديد قوم شعيب عليه السلام نبيهم

قال تعالى: {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ} [هود: 91] جاء رد القوم على نبيهم مغايرا للأسلوب اللين المؤدب، الذي ركز على مصالحهم الدنيوية والأخروية، الذي خاطبهم به خطيب الأنبياء، بل كان ردهم كله تجريحيا، ومركزا على شخصه، ولا علاقة له بالموضوع الذي يناقشهم فيه.

ومن الدلالات الواردة في معرض ردهم:

1. {قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ} : نادى القوم نبيهم باسمهم كأنه ليس منهم، ويومئ ذلك إلى أنهم منكرين لنبوته، في حين أنه ناداهم بأسلوب التحبيب، حيث نسبهم إليه بياء النسب، بقوله: (ياقوم)، وهذا ينسجم مع قوله تعالى لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–: {ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ} [النحل: 125] وقوله تعالى: {وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ} [آل عمران: 159] ويمكن للوعاظ والدعاة أن يستفيدوا من هذا المنهاج القويم لتبليغ رسالة الله، وتوصيلها لجميع أصناف الخلق بالطريقة نفسها.
2. {مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ} [هود: 91] عدم فهم معظم الكلام يؤثر في فهمه ويخل بمعناه المقصود، فهم يدعون أنهم ما فهموا مقصوده من خطابه، رغم ما احتوى عليه من مواعظ وحكم، خصوصا وأن معنى

الفقه لغة –قبل أن يطلق على العلم المخصـوص– هو: "فهم غرض المتكلم من كلامه"[1] أو: "إنه اسـم لمطلق الفهم"[2]. ولسائل أن يسأل فيقول: لماذا لم يفهموا كلام خطيب الأنبياء رغم أنه فصيح ويخاطبهم بلسانهم الذي يفهمونه؟ بدليل لقوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ} [إبراهيم: 4] للعلماء إجابات منوعة على هذا السؤال، منها:

أ. أن من شـــدة كره قومه له، ونفرتهم منه ما كانوا يعيرون لكلامه أي اهتمام[3]، ونزلوه منزلة الهذيان واللغط[4]، وهذا نظير قوله تعالى: {وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ} [الأنعام: 25].

ب. أن القوم فهموا كلامه بقلوبهم وأوعوه، لكنهم لم يقيموا له وزنا، فأنكروا سماع كلامه على وجه الاستهانة، وذلك "كما يقول الرجل لصاحبه إذ لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول"[5].

ج. ويمكن أن يعنوا أن الدلائل والحجج التي قدمتها لإثبات النبوة والتوحيد والبعث للحســـاب، وترك الظلم والغش والسرقة غير مقنعة، وليست كافية لتقبل المطالب التي تطالبنا بها[6].

---

(1) الشريف الجرجاني، **معجم التعريفات**، ص141.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج17، ص 391.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج17، ص 390.

(4) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 423.

(5) المصدر نفسه، ج2، ص 423.

(6) ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص 390.

د. وزعم البعض أن قومه لم يفهموا كثيرا من قوله؛ لأن شـــعيبا –عليه الســـلام– كان ألثغَ[1]، وضـــعف الألوسي هذا الرأي بعدما ذكر ما روي فيه، مستبعدا له؛ لأنه لم يرد في ذلك خبر صحيح يعول عليه[2].

3. {وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا} [هود: 91] لازال القوم مستمرين على أسلوبهم السفسطائي المغالط الجريح، فبعد أن اتهموه بقلة الفصاحة والبيان، لجأوا إلى الطعن في شخصه، فقالوا: أنت ضعيف، واختلف في الدلالة المقصودة بالضعف على أقوال منها:

أولا: أقوال حملت الضعف على الخلقة، منها:

أ. أن شعيبا –عليه السلام– كان ضرير البصر[3]، ويحكى أن سبب فقده لبصره كان من كثرة بكائه خشية للواحد القهار[4].

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 423.

(2) الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: على عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج6، ص 318.

(3) ينظر ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ) ج6، ص2076.

(4) ينظر السمرقندي، أبو الليث ناصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1997م) ج2، ص167.

ب. أنه –عليه السلام– كان ضعيف البصر[1]، وزعم أصحاب هذا القول والذي قبله أن حمير تسمى المكفوف ضعيفا[2].

ج. أن بدنه –عليه السلام– كان ضعيفا وهنا[3].

يبعد جدا حمل معنى الضعيف على المعاني المتقدمة كلها، لذا علق ابن عطية على هذا الرأي بعد عرضه قائلا: "وهذا كله ضعيف ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه"[4] ويرجع سبب ضعفه إلى جهتين اثنتين:

الجهة المعنوية: إذ لا يصح أن يقال: إنا لنراك فينا ضريرا، أو إن لنرى جسدك ضعيفا؛ لأن العمى أو وهن الجسم ليس محصورا على شعيب –عليه السلام، بل سيوجد أيضا من ضمن القائلين هذا القول من بدنه ناحل، وبصره ضعيف. قال الزمخشري منتقدا لهذا القول: "ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى، لم يكن كلاماً؛ لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم"[5].

---

(1) ينظر الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص499.

(2) ينظر ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 3، ص202.

(3) المصدر نفسه.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 3، ص202.

(5) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 423.

أضـف إلى ذلك أن هذا الرأي يؤدي إلى القول بأن الأنبياء معرضـون للأمراض التي يمكن أن تحول بينهم وبين تبليغ رسالات ربهم، وهي مسألة خلافية بين العلماء[1].

الجهة اللغوية: حمل معنى لفظ الضـــعيف على العمى أو الضـــرير خروج عن الظاهر بلا دليل، والأصل أن يحمل اللفظ على معناه الحقيقي، حتى ترد قرينة مرجحة تصرفه إلى غيره.

الاســـتدلال بلغة حمير لتقوية هذا المعنى تكلف لا تدعو الحاجة إليه، بل اعتبره ابن عاشـــور من التفاسير الفاسدة، قائلا: "ومن فساد التفاسير تفسير الضعيف بفاقد البصر وأنه لغة حميرية"[2].

ثانيا: أقوال حملت معنى الضعف على قلة الجاه والنصرة، منها:

أ. أن يعنوا بالضـعف المدافعة والذب عن النفس إذا قصـدوا إذايته، فهم يرون أن شعيبا –عليه السلام– كان وحيدا لا نصير له ولا معين[3].

ب. أن يقصـــدوا أنه –عليه الســـلام– ليس من أجلاء وكبراء القوم مالا، بل هو من أوســـاطهم، وكان معيار الســـيادة والكبرياء عند قومه هو كثرة المال، وإن كان مصـــدره فاســـدا، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، وليس الحسب والنسب، والجاه، ومكارم الأخلاق، والنصح.

د. يقصدون أن الذين آمنوا معهم كانوا من ضعاف القوم، فكيف تطمع فينا أن نستجيب لك؟

---

(1) ينظر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج17، ص 391؛ الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 318.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 149.

(3) ينظر المصدر نفسه.

ونظير قولهم هذا قول قوم نوح عليه السلام: { قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ} [الشعراء: 111]

وقولهم: {مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ } [هود: 27].

الراجح من هذه الأقوال أن دلالة الضعف قصد بها هنا ضعف المدافعة وقلة الأنصار، ويؤيد ذلك قولهم بعد ذلك: {وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ} حيث أتوا بعبارة تدل على أن عدد متابعيه قليل جدا؛ لأن الرهط في اللغة طائفة قليلة تتراوح ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل من الثلاثة إلى السبعة[1].

ولم يقولوا: ولولا قومك، لأن القوم نبذوه، وكان رهطه –عليه السلام– من خاصة أتباع دين قومه المخلصين له، لذا وقروه إرضاء لهم وتطييبا لخاطرهم، لأنهم لن يقبلوا إذايته لقرابته منهم عرقا.

4. قوله تعالى: {لَرَجَمۡنَٰكَۖ}: الأصل في كلمة الرجم أن يقصد بها الرمي، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ} [الملك: 5].

وقد يستعار لمعنى السب والشتم، ومن ذلك قوله تعالى: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا} [مريم: 46].

وقد يقصد به أيضا التخرص والظن والشك، ومن ذلك قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ } [الكهف: 22].

---

[1] ينظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 423.

ويطلق فيراد به أيضـــا الطرد واللعن، لذا قيل للشـــيطان رجيم، لأنه يطرد بالشـــهوب[1]، وبناء على هذا احتمل اللفظ لهذه المعاني، واختلف أيضا في تحديد دلالة الرجم في الآية، فقيل:

أ. هو بمعناه اللغوي الأصلي الذي هو الرمي، لأن قومه كانوا يقتلون بالرجم من يخلع دينهم[2]، ويعتبر من أبشـع أنواع القتل، وسـبب إطلاق الرمي على القتل وإن لم يكن بالحجر؛ أن أول قتل وقع في الأرض بين ابني آدم كان بالحجارة[3].

ب. قيل المقصود به هنا السب والشتم، ومن ذلك قول الجعدي:

تراجمنا بمُرِّ القول حتى نصير كأننا فَرسَا رِهان[4]

رجح الطبري وابن عطية الرأي الثاني، فيحمل على معنى التهديد حتى لا يتمادى على ما يدعو إليه من ترك دين أجدادهم.

---

(1) ينظر السمرقندي، **بحر العلوم**، ج2، ص167.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 150.

(3) المصدر نفسه.

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص91.

المطلب الرابع

وعيد شعيب عليه السلام قومه بالهلاك

لازال رده –عليه السلام– متسما بالحكمة والتؤدة، والشفقة على ما فيه قومه من الظلام الدامس، طامعا في أن يشق خطابه آذانهم ويلامس كلامه قلوبه، فقال مناديا لهم بإضافتهم إليه {ياقوم}. ومن الدلالات الواردة في هذا الرد، ما يلي:

1. معرفة غرض المتكلم من كلامه{أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ } [هود: 92]:

أ. قد يقال إن هذا الجواب غير مطابق لكلامهم؛ لأنهم نفوا أن يكون شعيب –عليه السلام–عزيزا عليهم، ولم ينكروا عزة الله عز وجل.

الجواب هو: أن رده كان بالأولى لأن التهاون بأي نبي من أنبياء الله تعالى تهاون بالله، مصداقا لقوله تعالى: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ} [النساء: 80] فالأولى أن يعز عليهم خوف الله، لا خوف الرهط.

ب. الاستفهام في الآية الكريمة استفهام إنكاري، واستغراب لطريقة تفكيرهم المعكوسة، وهذا التعبير أيضا كناية عن اعتزاز شعيب –عليه السلام– بالله وحده فقط، إذ لا يضره عدم عزة رهطه له[1].

ج. هدد القوم نبيهم ببطشهم وقدرتهم على رجمه، فرد عليهم بتهديد أدهى، وهو أن الله يتولى نصره، لأنه مرسله ومؤيده، فليس في حاجة إلى غيره.

---

[1] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 151.

د. المقصود من الخبر لازمه، أما هو مدرك جيدا أن قرابته طائفة قليلة لا تعجزهم عن رجمه لو قصدوا ذلك، ويعلم يقينا أن رهطه ليس أغلب لهم من الله، فليس في حاجة إلى أن تقصروا كلامكم على أن تعاملوه معاملة غير العزيز، أو تهددوه بقلة حاشيته، فهو معتمد فحسب على العزيز العليم[1].

هـ. قد يقال لماذا أجابهم بصيغة التفضيل، مع أن التفاضل يكون بين شيئين مشتركين في أصل الصفة، أما العزة فهي قاصرة على الله عز شأنه.

الجواب: أنه يجوز في المجرور ب (مِن) عدم مشاركة المفضل للمفضول في أصل الشيء، وإنما يقصد به مجرد المبالغة، اعتمادا على قرينة السياق، وذلك كقولهم: "العسل أحلى من الخل، والصيف أحر من الشتاء"[2].

و. كرر أداة النداء (يا) مرة أخرى ليدل على أن كلامه للتنبيه والتحذير، لعلهم يتبصرون ما فيه من المواعظ والنصائح[3]، ويفهم من هذا الأسلوب أن على من يتصدى لوعظ الناس ونصحهم أن يخاطبهم بأسلوب عام، دون تحديد أشخاص بأعينهم.

2. قوله تعالى: {وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيّٗاۖ} [هود: 92]:

أ. يجوز في الفعل اتخذ عند قوله تعالى: {اتخذتموه} من حيث التعدية أن يتعدى لمفعول واحد، وأن يتعدى للمفعولين اثنين، وذلك على النحو التالي:

---

[1] ينظر المصدر نفسه.

[2] الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 320.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 151.

المفعول الأول: هو الضـمير المتصـل الذي هو الهاء. واختلف المؤولون في مرجع هذا الضـمير على أقول، منها:

وحكى ابن الجوزي أن مذهب الجمهور رجح عودها على الله تعالى[1].

قال الفراء مرجع الضمير عائد على أمر الله تعالى[2].

فرجح الطبري أن يكون عائدا على ما جاء به شـــعيب من ذكر الله تعالى، وبين أنه رجح هذا الرأي بنـاء على قرب قولـه تعـالى: (واتخـذتموه وراءكم ظهريًّا)، من قولـه تعـالى: (أرهطي أعز عليكم من الله) فكان الأولى أن يعود على أقرب مذكور[3].

المفعول الثاني: هو ظهريا، كما يجوز أن يكون الظرف هو المفعول الثاني {وراءكم} وحينئذ يعرب {ظهريا} حال، كما أنه يجوز أن يعرب وراءكم أيضا ظرفا لفعل اتخذ، أو حال من قوله تعالى: {ظهريا}.

أمـا من رأى أن اتخـذ في الآيـة متعـد لمفعول واحـد الـذي هو الضـــمير، أعرب ظهريـا حـالا فقط[4]. أما فيما يخص مرجع الضـــمير فأرى –والله أعلم– أنه يمكن أن يرجع إلى كل ما تقدم، وتكون هذه الأقوال المذكورة من باب التفسـير بالمثال؛ لأن السـياق يحتملها جميعا، فحكم الله يتضـمنه ما جاء به شـعيب –عليه

---

(1) ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ) ج2، ص 398.

(2) المصدر نفسه.

(3) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص462.

(4) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج6، ص 379.

السلام من التشريع، وإن قلنا عاد على الله تعالى فهو أيضا مصدر التشريع وما يتضمنه من الأوامر –والله تعالى أعلم–.

ب. قوله تعالى: {ظهريا}: هو صيغة النسب، منسوب بياء النسب إلى الظهر، وكسرت الظاء منه لما تقتضيه تغييرات صيغة النسب، ومن الأمثلة التي تضاهي هذا المثال كسر همزة أمس عند النسبة إليها، فنقول: إمسي[1].

وقيل: هو الفضـــل والزيادة، فيقال مثلا للإبيل التي يخرجها معه الجمال في ســـفره احتياطا دون أن يحمل على ظهرها شيئا حتى يحتاج إليها إبيلا ظهرية[2].

أما الدلالة المقصودة بالظهري في الآية فمختلف فيها، فقيل:

أنهم جعلوا الله تعالى جل ذكره كالإبيل الظهرية، إذا احتاجوا إليه لجأوا إليه، وإذا لم يحتاجوا إليه في شيء فليس عندهم بشيء[3].

اسندوا ظهورهم إلى ما جاء به شعيب –عليه السلام– فلم يعيروا له أي اهتمام، ولم يلقوا له بالا[4]؛ لأن ما يوجد خلف الظهر لا يرى عادة، فكنوا به عن النبذ، ومن ذلك قول أرطاة بن سهيلة:

فمن مبلغ أبناء مرة أننا وجَدْنا بني البرصاءِ من ولد الظهر[5]

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 424.

(2) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج15، ص461.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ) مادة ظهر، ج4، ص526.

أي ممن لا يعتد بهم، ولا يلقى إليهم أي التفات[1]. وذلك كقوله تعالى: {قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ} [المؤمنون: 66] والعرب تقول لمن لا يبالي بأمر ولا يعبأ به، جعل فلان هذا الأمر بظهر، ومن ذلك قول الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها[2]

وقيل الظهري: المعين والمســـاند، لأن الظهر عادة هو الذي يعين على الحمل ســـواء من الدواب أو غيرها، وعلى هذا المعنى سـيكون الضـمير راجعا على العصـيان، فيكون الكلام على تقدير مضـاف[3]: أي "واتخذتم العصيان عوناً على عداوتي"[4]. إلا أن الألوسي استبعد هذا القول واعتبره خروجا عن الظهر بلا داع وبلا فائدة مرجوة منه[5].

3. قوله تعالى: {وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَـوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ} [هود: 93] نادى شعيب –عليه السلام– قومه مرة أخر، من باب

---

(1) ينظر الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص500.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 3، ص202.

(3) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص202.

(4) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج6، ص 379.

(5) ينظر الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 321.

عطف النداء على النداء لمزيد من التنبيه[1] والتحذير من والوعيد الذي سـيلحقهم إذا تمادوا في غيهم الذي نغمسوا فيه، ومن الدلالات التي تشتمل عليها هذه الآية، ما يلي:

أ. ما دلالة الأمر في هذه الآية؟

الأصـل في صـيغة (افعل) أن تكون للوجوب[2]، مادامت مجردة عن القرائن التي تصـرفها عن هذا المعنى، وذكروا أنها بوجود القرائن يمكن صـرفها إلى الإباحة أو التهديد أو وغيرها من المعاني التي تزيد عن ستة عشر[3]، إلا أن الغزالي يرى أن صيغة الأمر في حد ذاتها لا تدل على الأمر، وإنما السياق هو الذي يعطيها الدلالة[4]، وصـيغة الأمر في سـياق هذه الآية تفيد التهديد[5] بدليل مجيء آية نزول العذاب بعدها.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 152.

[2] ينظر السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، 1974) ج3، ص276.

[3] ينظر الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م) ج2، ص291

[4] ينظر الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، ط1، 1993م) ص 203.

[5] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج12، ص 152.

ب. مكانتكم: قرأها أبو بكر عن عاصـــم بالجمع، باعتبار جمع المخاطبين {مكاناتكم} وقرأ باقي القراء بالإفراد[1]، باعتبار الجنس، والمكانة لا تخلو من أن ترد إما للمكان فتكون مصــدرا كمقام ومقامة، فيكون معناها استمروا على ما أنتم عليه من التعاظم والتطاول على نبيكم المرسل إليكم، وإما أن تكون مصدرا من فعل مكّن –بالتشـــديد– مكانة[2]، فتكون دلالتها أثبتوا على حالتكم التي أنتم عليها، فتكون الميم على هذه المعاني أصلية في الجذر.

وهناك من يرى أنها من الكون فتكون الميم زائدة[3]، ويكون معناها واصــلوا وتثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشــقة، فيكون من باب اســتعارة العين للمعنى[4] وهناك رأي آخر يتجه إلى أن فعل (مكن) متضمن معنى البناء لذا عدي بحرف الجار (على) كما تقول: عمل على القوة وعمل على الجد[5].

---

(1) ينظر الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: خلف حمود سالم الشغدلي، (المملكة العربية السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م) ص 349.

(2) ينظر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 424.

(3) ينظر أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص253.

(4) ينظر الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 321.

(5) ينظر المصدر نفسه.

4. قوله تعالى: {إني عملٌ} التنوين هنا للعوض، أقصد عوض الجملة، والأصل إني عامل على مكانتي، وحذفت هذه الجملة للاختصار لدلالة ما سبق عليه، وليفيد مزيدا من التهديد والتخويف والوعيد[1]، وتخريج معنى الآية على وجهين[2]:

لن أستجيب لضغوطاتكم التي تمارسونها علي، فاعملوا على دينكم وأعمل على ديني، {لكم دينكم ولي دين} وكل منا سيحصد نتيجة ما زرعه، وهذا بعد أن قالوا له على وجه التهديد: {لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ} [الأعراف: 88].

اعملوا على كيدي والمكر بي، وأنا أيضا عامل، وذلك نظير قول هود –عليه السلام– {فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ}.

5. قوله تعالى: {سوف تعلمون} وردت سوف هنا بدون فاء، على عكس ما عليه الحال في باقي السور، حتى قال السمعاني: "وليس في القرآن {سوف تعلمون} إلا في هذه الآية"[3]، ولسائل أن يسأل ما الفرق بين اقتران سوف بالفاء كما في سورة الأنعام الآية 135، وعدم اقترانها بها كما هو الشأن هنا؟

ولعل جواب ذلك –والله أعلم– أن إدخال الفاء هو الأصل، لذا وردت في سورة الأنعام، وهو الموضع الذي ذكرت فيه أولا من حيث الترتيب لا من حيث النزول، وفسر الزمخشري عدم ذكر الفاء هنا بوجه

---

(1) المصدر نفسه.

(2) الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج6، ص176.

(3) السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغانم ين عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1997م) ج2، ص 454.

آخر وهو أن إدخال حرف الفاء يدل على "وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها: وصل خفي تقديريّ بالاستئناف"[1] فيكون حذف الفاء بهذا التأويل دالا على أن هذا الجواب، جواب لسؤال مقدر، فكأنهم قالوا له: إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت عامل على مكانتك ماذا سيكون؟ فرد عليهم تارة بالوصل بالفاء وتارة بالفصل على الاستئناف من باب التنوع والتلون في الأساليب البلاغية[2].

6. قوله تعالى: {ومن هو كاذب}:

أ. ذكر الزمخشري أن القياس يقتضي أن يقول: سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق، ليتضح البون الشاسع والمقارنة بين منزلة نجاة الصادقين الذين آمنوا بشعيب –عليه السلام– ودرك هلك الكاذبين الجاحدين لنبيهم، لكن لما كانوا يزعمون أنه كاذب، قال: ومن هو كاذب تفنيدا وتجهيلا لهم[3]، انتقد أبو حيان هذا القياس واعتبر أسلوب الزمخشري يتسم بسوء الأدب، واعتبر أن خطاب شعيب –عليه السلام– متجه قصرا إلى قومه على سبيل التهديد والوعيد، ولا دخل له هو ومن آمن معه فيه[4].

قد يكون المقصود –والله أعلم– عطف الصفة على الصفة، كما تقول لشخص تهدده ستعلم من يهان ومن يعذب، فيكون أوقع في النفس، وأبلغ من التصريح، وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا الاكتفاء بإحدى العاقبتين، سواء عاقبة المكذبين كما في بداية هذه السورة {فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 424.

(2) المصدر نفسه.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 425.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص203.

عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [هود: 39]، وفي قوله تعالى: {فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٩ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ } [الزمر: 39-40] أو عاقبة المتقين كما ورد في قوله تعالى: {رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ} [القصص: 37] وعاقبة الدار هي الجنة بدليل قوله: {له} يعني أنها له وليست عليه[1].

ب. في الآية محذوف دل عليه السياق قبله، فأصل العبارة –والله أعلم–: "ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله" [2] فحذف هذا المضمر واكتفي بفحوى الخطاب.

7.قوله تعالى: {رقيب} أي منتظر، حيث وصل معهم في الحوار إلى طريق مسدود، ووضع حدا لمفترق الطرق، وصيغة فعيل بمعنى فاعل للمبالغة، أي بمعنى إني معكم راقب، وذلك نحو الضريب بمعنى الضارب، والصريم بمعنى الصارم، وقيل فعيل بمعنى مفتعل، وذلك نحو فقير بمعنى مفتقر، ورفيع بمعنى مرتفع[3]. ولم يذكر ما ينتظره –عليه السلام– من النصرة، وما ينتظره قومه من التهلكة، لما في ذلك من التباين في المصير الذي لا يلائم المعية.

ولما تمرد قومه وأصروا على ما هم عليه أتاهم ما وعدهم به نبيهم من الهلاك الشامل والدمار الماحق، فقال تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ}[هود: 94-95]. اشتملت هذه الآية على دلالات منها:

---

(1) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 322.

(2) الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص501.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 424.

1. قوله تعالى: {ولما جاء أمرنا} قد يقال لماذا وردت ساقتي قصة عاد {وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا} وقصة شعيب {وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا} [هود: 94] بالواو، بينما وردت ساقتي قصة صالح {فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا} [هود: 66] ولوط {فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا} [هود: 82] بالفاء؟

لعل جواب ذلك –والله أعلم– أن قصتي صالح ولوط وردتا في سياق الوعيد والتهديد بقرب نزول العذاب، الذي يقتضي السبب والمسبب فجيء بالفاء التي تفيد ذلك[1]، كما تقول: وعدته فلما كان الميعاد وقع كذا وكذا، حيث سبقت قصة ثمود بقوله تعالى: {تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ} [هود: 65]، وسبقت قصة قوم لوط بقوله تعالى: {إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ} [هود: 81]، أما قصة أصحاب عاد ومدين فلم يسبقا بشيء من ذلك، ووقعتا في محل الاستئناف فكان حقهما العطف بالواو المفيدة لمطلق الجمع، من باب عطف القصة على القصة[2].

لكن يرد على هذا التأويل بأن يقال: أسلوب قصتي صالح وشعيب تضمنتا أيضا الوعيد بشكل غير صريح، انطلاقا من هذا السؤال استبعد الألوسي جواب الزمخشري واعتبره غير وجيه، واختار أن يكون سبب ذكر الفاء – في القصتين المذكورتين دون غيرهما– هو اقتراب زمن نزول العذب؛ لأن الفاء كما هو معلوم تدل على التعقيب، حيث كان زمن نزول هلاك قوم صالح ثلاثة أيام فقط، وفترة دمار قوم لوط سويعات قليلة، كما يدل عليه قول تعالى: {إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ}[هود: 81] أما قصة

---

(1) المصدر السابق، ج2، ص 425.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص203.

شــعيب فليس فيها ما يدل على اقتراب الدمار، بل فيه متســع من الوقت كما يومئ إلى ذلك الاســتعمال الشائع لحرف {سوف} الدال على التسويف[1].

2. وردت {الصيحة} معرفة بالألف واللام لتشير إلى العهد الذكري السابق في قصة شعيب –عليه السلام–عند قوله تعالى: {وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّـــيۡحَةُ} [هود: 67] حيث قاس حال هؤلاء على حال أولئك لما بين إهلاكهما من التقارب[2].

وقد يرد ســؤال على هذا التقارب الذي بين عذابي تلك الأمم، بأن يقال لماذا ذكرت الصــيحة مذكرة في قصة قوم صالح، بينما أنثت في قصة قوم شعيب؟

بالتحكم إلى قواعد النحوي هناك تجاوز في تذكير وتأنيث المؤنث المجازي، بخلاف المؤنث الحقيقي، ويزيد هذا التجاوز قوة إذا فصل بين الفعل وفاعله بالمفعول، كما في هاتين الآيتين.

لكن من حيث المعنى يشير هذا الفرق إلى أن صيحة قوم شعيب أهون من صيحة قوم صالح، لذاك برزت التاء في صـــيحتهم، وحذفت في صـــيحة ثمود الذين عرفوا بقوة البطش، وصـــلابة البدن وكثرة العدد والعدة[3].

---

(1) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 323.

(2) ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج10، ص556.

(3) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج9، ص367.

وقيل لما ذكر عذاب قوم شـعيب موسـوما مرة بالرجفة ومرة بالظلة ومرة بالصـيحة، ازداد التأنيث قوة فصار مستحسنا، بخلاف قصة ثمود[1].

3. قوله تعالى: {جاثمين} يدل هذا الجذر (ج ث م) عند الخليل على اللزوم لمكان لا يبرح[2]، وهو حسـب ابن فارس يدل على تجمع الشـيء[3]، وأصـل اسـتعمال الكلمة في الطائر إذا قعد ولطأ ببطنه الأرض، وانتقل إلى الاستعمال في غيره إذا كان له به صله[4]، كالجثمان لشخص الإنسان القاعد، ثم توسع ليطلق بمعنى الإقامة، واستعير في الآية الكريمة للموتى لأنهم لا يبرحون مكانهم[5].

---

(1) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ). ج4، ص47.

(2) الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ط1، د.ت) ج6، ص100.

(3) ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، د. ط، 1979م) ج1، ص505.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 3، ص204.

(5) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 323.

4. قوله تعالى: {بَعِدت} قرأ جمهور القراء بكسر العين، وحكى ابن جني[1] أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأها بضم العين، وقال النحاس: " المعروف في اللغة أنه يقال: بَعِد يبعَد بُعْدا وبَعَدا إذا هلك"[2]، وفرق ابن جني بين القراءتين حيث ذهب إلى اختصاص ورود بعِد بالكسر على الشر، فيقال: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا، للدعاء على الشخص، فتكون قراءة الجمهور على هذا الوجه مشتقة من البُعد الذي هو بمعنى اللعنة، أما بعُد بالضم فهي ترد للخير والشر، فتقول مثلا: بُعد عن الخير، وبعُد عن الشر، فتكون متفقة الفعل مع المصدر الذي اشتقت منه[3].

ليس هناك فرق كبير بين القراءتين، لأن البعد على كل الأحوال سواء بالضم أو الكسر يفيد الطرد والسحق، وهذا في حد ذاته لعن، لذا ذهب القرطبي إلى أنه قد تجتمع اللغتين في معنى واحد، من باب ما جاء مصدره على غير لفظه لتقارب المعاني[4].

من خلال ما تقدم يتضح لنا الأسلوب البليغ الرصين الهادئ الذي خاطب به خطيب الأنبياء قومه، وبين الأسلوب التعسفي الذي ردوا به على نبيهم، حيث لوحظ سيطرة الحوار وبين شعيب –عليه السلام– وقومه في سورة هود، حيث انفردت بتفاصيل لم يرد ذكرها في باقي السور التي تعرضت لذكر القصة،

---

(1) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي، وآخرون، (مصر: وزارة الأوقاف، ط1، 1994م) ج1، ص327.

(2) النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ) ج2، ص181.

(3) ابن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج1، ص327.

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص93.

ليتناسب خطاب قوم شعيب مع الخطاب الذي يخاطب به كفار قريش محمد –صلى الله عليه وسلم– الذين رفضوا أن يصدقوا أنه نبي كما يدل على ذلك خطاب سهيل بن عمرو يوم الحديبية.

ومن أبرز نتائج هذا الفصل:

بالغت هذه السورة في النهي عن التطفيف –أكثر من سورة الأعراف– حيث جمعت بين والأمر بالقسط، والنهي عن البخس، لمزيد من التحذير.

طغى على هذه السورة أسلوب الحوار بين شعيب –عليه وسلم– وقومه، حيث خاطبهم بحجج واضحة وأسلوب عقلي هادئ، بينما بالغوا في تجريحه وسبه وشتمه ووصفه بأبشع النعوت.

كل قصص هذه السورة تبدأ ب عبارة: (وإلى) كما هو الشأن في سورة الأعراف، لكن سورة هود انفردت بمناداة كل قوم نبيهم باسمه، مثل: (قالوا يا هود) قالوا يا صالح) بينما ينادي الأنبياء أقواهم بنسبتهم إليهم {يا قومي}.

انفردت قصة شعيب –عليه السلام – عن باقي قصص السورة بذكر تفاصيل الحوار الذي دار بين الطرفين.

الفصل الثالث

ورود قصة شعيب –عليه السلام– في سور الحجر والشعراء والعنكبوت

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: محور سورة الحجر وأسلوبه وعلاقته بمشهد قصة [شعيب عليه السلام

المبحث الثاني: محور سورة الشعراء وأسلوبه وعلاقته بمشهد قصة [شعيب عليه السلام]

المبحث الثالث: محور سورة العنكبوت وأسلوبه وعلاقته بمشهد قصة شعيب [عليه السلام]

المبحث الأول

[محور سورة الحجر وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة [شعيب عليه السلام

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي السورة.

المطلب الثاني: محور سورة الحجر وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الحجر.

المطلب الأول

بين يدي السورة

سميت هذه السورة باسم الحجر الذي هو اسم بلاد ثمود، الذين اطلق عليهم أصحاب الحجر، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى ورود هذا اللفظ فيها دون غيرها من السور[1]، وذلك عند قوله تعالى:{وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [الحجر: 80] ولم تعرف باسم غير هذا[2] وعدد آياتها تسع وتسعون باتفاق العادين[3]، وهي مكية كلها باتفاق[4]، وقيل مكية إلا قوله تعالى: {وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ} [الحجر: 87] فمدني[5]، ولعل سبب استثناء أصحاب هذا القول لهذه الآية مبني على أن الفاتحة (السبع المثاني) مدنية، لكن الأصح حسب ابن عاشور أنها مكية[6] واستثنى منها صاحب

---

(1) تقدم ذكر أسباب تسمية السور بأسمائها في مستهل سورة الأعراف.

(2) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص5.

(3) أبو عمرو الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص173.

(4) المصدر نفسه.

(5) الماوردي، **النكت والعيون**، ج3، ص147.

(6) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص5.

الإتقان[1] أيضا قوله تعالى: {وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ} [الحجر: 24] بناء على أن سبب نزولها هو صفوف الصلاة[2].

تعددت موضـــوعات الســـورة حيث اســـتهلت ببيان عظمة القرآن الكريم كما تدل على ذلك الحروف المقطعـة، لتنتقل بعـد ذلـك إلى إظهـار براهين وحجج النبوة، وحفظ العزيز كتـابـه العزيز من كـل التغييرات والتبديلات والتحريفات، وإجلاء عظمة الخالق في تزيين السماء بالكواكب، وحفظها بالشهوب الراجمة لمسترقي السـمع من شـياطين الجن، وإعداده جل تعالى السـحاب وما يحمله من ماء من خزائن رحمته، واطلاعه على أعمال المتقدمين والمتأخرين، كما بين حكمته تعالى في خلق آدم وأمر الملائكة بالســجود له، وإعراض إبليس عن ذلك اسـتكبارا منه، واسـتحقاقه بذلك اللعنة، ومناظرته لخالق جل شـأنه، ووعده تعالى عباده الصـالحين بالرحمة والمغفرة، ووعيده أهل اللذات بالخزي، لتشـير الآية إلى ذكر ضـيوف إبراهيم الخليل –عليه السـلام– وذكر قوم لوط وتماديهم في انحرافهم، وأصـحاب الأيكة وانتقامه منهم، وأصـحاب الحجر وسـحقه لهم، لتختم السورة بتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– عما ناله من قومه من أذى الأقوال والأفعال، وامتنانه تعالى عليه

---

(1) السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص60.

(2) لما رواه الترمذي عن ابن عباس –رضي الله عنه– أنه قال: «كَانَتْ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْنَاءَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَكَانَ بَعْضُ القَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ لِئَلَّا يَرَاهَا، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ}ج5، ص296، رقم (3122). علق الترمذي على هذا الحديث بقوله: "وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح: توهين لطريقه"، وأكد ذلك ابن كثير عندما قال عنه: " وهذا الحديث فيه نكارة شديدة... فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، ليس فيه لابن عباس ذكر" ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص532

بما وهبه له من القرآن والسبع المثاني، وأمره بمواصلة تبليغ دعوته، ووعده بإهلاك أعداء شريعته، وأوصاه بالعبادة حتى يأتي يوم اليقين[1].

[1] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص273.

المطلب الثاني

محور سورة الحجر وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

هناك تقارب كبير بين موضـوعات هذه السـورة التي ذكرت فيها قصـة قوم شـعيب؛ لأنها جميعا مفتتحة بالحروف المقطعة التي تبدأ غالبا بالتنويه والثناء على القرآن الكريم من حيث فصـاحته وبيانه وإعجازه الذي تحدى العالم بمختلف مكوناته، وترجع كلها إلى العهد المكي الذي يركز بشـكل أسـاسـي على التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك، وسرد قصص الأمم الغابرة؛ لتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– وسأذكر أراء بعض المفسرين في تحديد محور هذه السورة:

1. **البقاعي:** يرى أن محور السـورة يدور حول موضـوع وصـف القرآن الكريم وما وصـل إليه من الذروة المنتهية في البيان، والغاية في جمع المعاني المتشـعبة بألفاظ وجيزة وجيهة، خالية من الاطناب، لكن دون إخلال بالفهم أو إجحاف بالمعنى، وكذلك القدرة على التعبير عن قصـة الواحدة بطرق متنوعة ومختلفة طولا وقصـرا، كلها في درجة عالية من البيان، ومن الأمثلة المجسـدة لذلك قصـة أصـحاب الحجر التي سـميت السـورة بها، حيث بلغت من الوضـوح عند من يسـمعها غاية مشـاهدة مشـاهدها. ويدل هذا الأمر على قدرة الله تعالى المسـتحق للعبودية والتوحيد، كما تدعو إلى ذلك آيات السـورة والقصص الواردة فيها، لتكون عبرة لكفار قريش[1].

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج11، ص1–2.

2. **الفراهي:** رأى أن عمود السورة يتمثل في: "أن لعذاب المنكرين وقتا معلوما فاصبر"[1].

3. **سيد قطب:** نظر إلى السورة من الزاوية التاريخية، حيث اعتبر أن استحضار فترة النزول من مفاتيح تحديد المحور، خصوصا وأن نزول هذه السورة ينتمي إلى الفترة الحرجة –التي اشتد فيها الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم– وهي ما بين عام الحزن والهجرة، لذا تستعرض السورة وتعالج بشكل أساسي ما تستدعيه تلك الفترة ومن موضوعات، ومن أهمها:

إبراز طبيعة المكذبين، والدوافع الأساسية التي أدت بهم إلى الإعراض عن هذا الدين، وتجسيد مشاهد أنواع العذاب الذي ينتظرهم، وذلك في سياقات متعددة وجولات متنوعة من قصص الأنبياء ومشاهد يوم القيامة وصور الكون، وشبه جو السورة بجو سورة الأعراف، لاسيما فيما يتعلق بالإنذار وذكر قصص الأنبياء وذكر ما وقع لآدم مع إبليس، لكن رغم اتفاق السورتين في المحور، تنفرد كل واحدة منهما بشخصية متميزة من حيث الإيقاع وتناول نفس الموضوعات بطرق مختلفة، وقسم سياق السورة إلى خمسة موضوعات إجمالية، وهي كالتالي:

أ. بيان سنة الله المطردة في الرسالات السماوية من حيث انقسام الأمم إلى مؤمن وكافر بها، رغم استجابة الرسل لمتطلباتهم التي يطلبونها، والآية التي تعتبر أساس هذا الموضوع هي قوله تعالى: {كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ} [الحجر: 12-13].

---

[1] الفراهي، **دلائل النظام**، ص 95.

ب. اســـتعراض قدرة الله وعظمة آياته في خلق الكون، من الســـماء المزينة للناظر، والمحفوظة من كل رجيم، والأرض التي فيها معاش المخلوقات، والمثبتة بالجبال الرواســـي، فإن الذي يقدر على إحيائها وهي ميتة قادر على إحياء الناس وإخراجهم من الأجداث.

ت. سرد قصة البشرية، وأصل الهداية والغواية في مكوناتها، وذكر الأسباب الأولية والأصلية، منذ خلق آدم من الصــلصــل إلى نفخ الروح، وعرض مصــير الغاوين المقتدين بالمغرور المســتكبر عن الســجود، ومآل المهتدين التابعين للآمرين بالسجود.

ث. ذكر مصـــارع الأمم الغابرة من قوم لوط وشـــعيب وصـــالح، وإجلاء رحمته تعالى مع إبراهيم ولوط، وعذابه لأممهم، وذكرت الســورة هذه المصــارع تحديدا لتكون عبرة لقريش؛ لأنهم يمرون على آثارهم في طريقهم إلى الشام، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٖ} [الحجر: 75-76].

ج. كشفت فيه السورة عن الحق الذي يكمن في خلق السموات والأرضين، وما اتصل بذلك من قيام الساعة وما يترتب عنها من ثواب أو عقاب، وســبب النجاة من ذلك هو اتباع دعوة محمد بن عبد الله –صــلوات الله وســلامه عليه– قال تعالى: {وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ} [الحجر: 85][1].

4. **الطاهر بن عاشور**: ذكر أن من مقاصدها:

أ. التنويه بهدي القرآن الســاطع، وتحديه للمعارضــين بإعجازه القاطع، وزجر المشــغولين عنه بالانغماس في الملذات، ووعيدهم بنزول العذاب في غضون الموعد الذي سبق في علم الله.

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج14، ص2122– 2124.

ب. وتسلية محمد –صلى الله عليه وسلم– حتى لا يتحسر على عدم إيمان من أعرض عن ذكر الله من قومه؛ لأن تلك عادة المكذبين في كل الأمم، لا تجدي معهم الآيات البينة، ولا المعجزات القاطعة التي يطلبون وقوعها.

ج. ركزت السورة أيضا على إثبات البعث والنشور، وتقديم الأدلة على إمكانية وقوعه.

د. وبيان تشريف الله للإنسان وتعظيمه له، وذكر قصة استكبار الشيطان، وتطرقت إلى قصص إبراهيم ولوط –عليهما السلام– وأصحاب الأيكة والحجر.

هـ. تثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– على ما يتلقاه من الأذى، وحثه على الصبر والعفو، لأن الله ناصره وحافظه من غيهم، وأن ساعة النصر التي وعده بها قريبة.[1]

5 يجب ألا يحد الأمل في الله بحدود، لأنه هو الذي يضمن توازن حياة الشخص، حتى يعيش بدن إفراط ولا تفريط، ولا يأس ولا قنوط، على أن يكون هذا الأمل ممزوجا بخشية الخالق والخوف من حسابه[2].

5. **موسوعة التفسير الموضوعي:** حددت عمود هذه السورة في إظهار مآل الكافرين المكذبين ومصيرهم المهول، وبينت عاقبتهم بشتى الطرق، أحيانا بذكر ما جرت به سنة الله في المكذبين، وأحيانا باستحضار

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج14، ص7.

[2] طهماز، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، ج4، ص341–342.

قدرة الله العظيمة فيما نشاهده في الآفاق وفي الأنفس، أو وصف هول أطوار مشاهد يوم البعث والنشور، أو قص قصص الأمم السابقة لاعتبار والاتعاظ، كقوم لوط وشعيب صالح[1].

6. . **طهماز**: يرى أن سورة الحجر تتناول موضوع حياة الإنسان التي يحددها الموت، وموقعها مما يحيط من الأكوان، وأبرزت السورة حقائق مهمة وضرورية هذا الكائن، منها:

أ. أن أجزاء الكون مرتبطة ببعضها ارتباطا موزونا وثيقا، حيث يؤدي الخلل في أي جزء من أجزائه إلى إلحاق الخلل بالنظام كاملا.

ب. الإنسان عليه أن يوازن بين سلوكه وطبيعة حياته الاجتماعية والمادية والفكرية والروحية، ويستهدف الإسلام هذا التوازن ليخلق للإنسان السعادة والراحة الداخلية.

ت. الأثر الكبير الذي يحدثه الأمل على سلوك البشر، لأنه يعكس مدى توازن الشخص في حياته، ويحدث خللا كبيرا في سلوك الإنسان وبيئته.

7. **مناقشه هذه الآراء**: ركز البقاعي وابن عاشور في تحديد محور هذه السورة على الحروف المقطع، وجعلوها مفتاحا للوصول إلى المقصد، فربطوه بالتنويه بالقرآن الكريم المعجز بلفظه ومعناه، ومعتمدين

---

[1] مسلم، مصطفى، وآخرون، موسوعة **التفسير الموضوعي**، ج 4، ص 95.

من جهة أخرى على الأهداف التي تسعى السور المكية إلى تثبيتها وأبرزها موضوع إفراد الله تعالى بالعبودية، وإثبات البعث والحساب.

أما سيد قطب فتمسك بالظروف المحيطة بالسورة من جو النزول وما تلاه من أحداث عام الحزن، وما نتج عنها من وعيد المتطاولين بما سيطالهم في الآخرة، فرتب تلك المواضع زمنيا مبتدئا بقصة آدم مع الشيطان وما انبثق منه من صدع بين الحق والباطل، وجرت سنة الله أن يستمر ذلك الصراع على مر التاريخ كما توضح قصص الأمم المذكورة، رغم ما تشاهدها من آيات كونية وإنسانية.

أما الموسوعة التفسيرية والفراهي أمسكا محور السورة من جانب قصص الأمم الغابرة واعتبروها تهديدا ووعيدا وتحديدا لمآل المجرمين، في حين أن طهماز ركز على الإنسان وحياته، وما يحتاج إليه من التوازن المستمد من توازن الكون وتماسكه.

وبناء على ما تقدم أرجح ما ذهب إليه سيد قطب الذي استحضر السياق الذي نزلت فيه السورة، الذي هو عام الحزن وما صاحب ذلك من تغيرات في التعامل مع النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد وفاة المساندين له.

علاقة قصة شعيب بمحور السورة وموضوعاتها:

أما علاقة قصة شعيب –عليه السلام– بمحور سورة الحجر وبباقي القصص الوارد فيها، فلعلها ترجع –والله أعلم– إلى إثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبودية، حيث أقامت الأدلة على ذلك بلفت أنظارهم إلى قدرة الله تعالى المحكمة فيما خلقه من سماء مزخرفة بالنجوم، وخلق الجان من مارج من النار، وآدم من تراب، وسجود الملائكة المكرمين له إلا إبليس، فجاءت قصة إبراهيم وصالح وشعيب –عليهم السلام–

لتكون نموذجا لمصير من اتبع سبيل التوحيد الذي سلك سبيله آدم ومن جاء بعده من الأنبياء، وعبرة لمن اتبع طريق الهوى الذي ابتدعه إبليس ومن جاء بعده من الطغاة، فأمرت قريش باتباع ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– والمداومة عليه حتى يأتي القين، لأن المسلمين في مرحلة نزول هذه السورة كانوا أقلية مستضعفة، فهم في أمس حاجة إلى ما يقويهم من قصص، حتى يصمدوا أمام بطش كفار قريش، وأن يعلنوا إيمانهم القوي، ويعرضوا عن الجاهلين، مصداقا لقوله تعالى: {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين} [الحجر:94].

علاقة مقطع قصة شعيب وتاريخ نزوله بالسيرة النبوية:

نزلت سورة الحجر بعد سورة يوسف، التي نزلت بعد واقعة الإسراء والمعرج، وقبيل الهجرة[1]، فتكون هذه السورة نزلت في تلك الفترة التي كادت فيها الدعوة المحمدية أن تتجمد بسبب موقف قريش العتيد منها ومن النبي –صلى الله عليه وسلم– والشرذمة التي آمنت معه، حيث اجترأت قريش عليه بالطريقة التي لم تقدر عليها في حياة عمه أبي طالب، ونالوا من صحابته –رضوان الله عليهم– أشد الانتقام، فجاءت هذه السورة في تلك الظروف لتتوعد المشركين المنكرين للنبوة، المنتقمين من النبي، وتهددهم بعرض صور مشاهد ما آل إليه من جحد قبلهم من الأمم جاءت به رسلهم، وذكرت مصارع المنكرين للحق ومصيرهم، وبينت للنبي –صلى الله عليه وسلم– أن عنادهم هذا وتكذيبهم وصل إلى مرحلة لا تجدي معه الآيات البينة والحجج

---

[1] ينظر جعفر شريف الدين، **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، ج4، ص273.

الواضحة، ثم تسلي المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وتحثه على الإصرار على الحق، والصدع به بكل قوة لمواجهة قوى الباطل، والصبر على ذلك رغم بطء الاستجابة، والعزلة وطول المسار، فكانت هذه السورة تتقاطع مع أخواتها من السور التي تنتمي إلى تلك الحقبة لتواجه مقتضياتها، وتلبي حاجياتها[1].

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2121.

المطلب الثالث

أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الحجر

جاءت قصة أصحاب الأيكة في هذه السورة ثالثة من حيث الترتيب، حيث سبقت بقصة إبراهيم ولوط –عليهما السلام– ووردت مختصرة في آيتين، وهي قوله تعالى: {وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ} [الحجر: 78-79] ومن الدلالات الواردة في هذه الآية، ما يلي:

1. الأيكة: وردت هذه الكلمة في القرآن أربع مرات، من حيث الرسم كتبت بطريقتين، حيث قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر[1] موضعي الشعراء وص {لَئيكةَ} بفتح اللام والتاء، بينما رسموها في سورتي الحجر وق بالألف واللام هكذا: (الأيكة)، قال أبو عمرو الداني: "وكتبوا في كل المصاحف {أصحاب ليكة} في الشعراء وص بلام من غير ألف قبلها ولا بعدها وفي الحجر وق {أصحب الأيكة} بالألف واللام"[2]، وبناء على اختلاف رسمها ذهب بعض العلماء إلى اختلاف مدلولها، وقال بعضهم:

أ. ليكة اسم القرية التي يقطن فيها قزم شعيب، والأيكة: البلاد كلها[3] وذلك كالفرق بين بكة ومكة.

---

(1) ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، (المطبعة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت)، ج2، 361.

(2) أبو عمرو الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1978م (ص29.

(3) ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م) ج2، ص390.

ب. أن ليكة والأيكة معناهما واحد وهو الشجر الملتف[1].

ج. ليكة بغير الألف علامة على الجمع والتلخيص والاختصار في معنى القصة، قال الزركشي: "الأيكة نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام فاجتمعت الكلمتان فصارت ليكة علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى"[2].

انتقد الزمخشري التفرقة بين ليكة والأيكة من حيث المعنى، واعتبر أن زعم ليكة بالفتح اسم بلد وهم قاد إليه رسم المصحف، إذ لا يدل اختلاف رسم الكلمة في المصحف على ضرورة اختلاف مدلولها، قائلا: "وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه، وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ"[3]، واعتبر ابن عاشور كلام الزمخشري هذا تعسفا، واستخفافا بتوهيم القراء المعتمدين على الرواية قبل نسخ المصاحف، ورجح أن يكون من باب التغيير لأجل التسمية والنقل إلى العلمية، كما تسمى الشمس شُمسا ليصير علما[4].

---

(1) السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1997)، ج3، ص147.

(2) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص429.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص332.

(4) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص183.

ورد السمين الحلبي أيضا على هذا الرأي بقوله: "لا يَثْبُتُ ولا يُعْرَفُ مَنْ قاله، ولو عُرِفَ لكان فيه نظرٌ"[1] واختار أن يكون سبب فتحها في هذين الموضعين خلوها من أسباب الصرف التي هي دخول الألف واللام أو الإضافة، واستفاض في الرد على من تجرأ بالطعن على هذه القراءة التي استفاض نقلها عن الثقات الأثبات بالتواتر القطعي مشافهة ورسما بشواهد وأدلة دامغة يرفع معها كل لبس[2].

2. لبإمام مبين: أصل الإمام الذي يقتدى به[3]، واختلف في الدلالة المقصودة به في هذه الآية، فقيل:

أ. الكتاب المبين الذي هو اللوح المحفوظ،[4] وسمي إماما لأنه سابق على كل الكتب، ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا} [الإسراء: 71] وقوله تعالى: {إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ} [يس: 12].

---

(1) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج8، ص545.**

(2) المصدر نفسه، ج8، ص 544- 549.

(3) ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص25.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص382؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص491.

ب. الطريق، أي أنهم بطريق واضح يعاينه الناس[1]؛ وسمي الطريق إماما لأن المسافر يأتم به حتى يبلغ وجهته التي يقصدها[2] ورجح صاحب التحرير والتنوير هذا الرأي بدليل ما تقدم في السورة عند قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} [الحجر: 76].

3. مرجع ضمير التثنية في قوله تعالى: {وَإِنَّهُمَا} [الحجر: 79] أختلف أهل التأويل في مرجع هذا الضمير على فريقين:

المذهب الأول يرى أن الضمير عائد على ما تقدم ذكره في سياق الآية، واختلف في تحديد هذا المذكور فقيل:

أ.راجع إلى مدينتي قوم لوط وقوم شعيب[3]. وهذا الرأي مبني على أن المقصود بالإمام هو الطريق، أي أن موضع هلاكهما في طريق واضح يأتم به الناس في أسفارهم.

ب.وقيل الضمير عائد على النبيئين لوط وشعيب –عليهما السلام–[4]، فيرجح هذا التأويل أن يكون المقصود بالإمام هو الكتاب، أي أن لوطا وشعيبا –عليهما السلام– على منهج مبين يأتم به الناس.

---

(1) ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقام بن الأرقام، ط1، 1416هـ)، ج1، ص420.**

(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص239.

(3) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج17، ص115.

(4) مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، ج6، ص 3921.

ت.وقيل يرجع على خبر إهلاك قوم لوط وقوم شعيب[1].

المذهب الثاني: يرى أن ضمير التثنية عائد على الأيكة ومدين، واستغني عن ذكر الثاني لأن الأول مشعر به، وهذا الرأي ناتج على أن شعيبا –عليه السلام– بعث إلى أمتين، أصحاب الأيكة الذين هم أهل البادية، وأصحاب مدين الذين هم سكان الحاضرة، ونسب شعيب –عليه السلام– يرجع إليهم لذا ينسب إليهم بالأخوة، وهذا ما رجحه ابن عاشور[2]، وذكر الرأي نفسه بعض المفسرين لكن بصيغة التمريض، منهم الرازي[3]، وأبو حيان[4] ، وكذلك السمين الحلبي[5].

وقد روى ابن كثير حديثا يدل على هذا التأويل، وهو قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «إِنَّ قَوْمَ مَدْيَنَ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةِ أُمَّتَانِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا شُعَيْبًا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ» لكنه علق عليه بما يدل على ضعفه مختارا أنهما أمة واحدة، حيث قال: "وَهَذَا غَرِيبٌ، وَفِي رَفْعِهِ نَظَرٌ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مَوْقُوفًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وُصِفُوا فِي كُلِّ مَقَامٍ بِشَيْءٍ"[6] كما استدل أيضا على اختيار القول الأول بأن الله تعالى وصف أصحاب الأيكة وأصحاب مدين معا بالتطفيف والبخس مما يؤكد أنهما أمة واحدة.

---

(1) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج7، ص178.

(2) السمعاني، **تفسير القرآن**، ج3، ص148؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص183.

(3) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج19، ص 157.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج6، ص491.

(5) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج7، ص178.

(6) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص143.

أبرز نتائج هذه السورة:

سمت هذه السورة قوم شعيب بأصحاب الأيكة بينما سمتهم السور المتقدمة بأصحاب مدين، وهي تسميات لمسمى واحد.

لم تذكر هذه السورة طبيعة العذاب الذي نزل على هؤلاء القوم على غرار باقي السور.

ذكرت السورة أن منازل هؤلاء القوم موجودة في الطريق الذي يسلكه أهل مكة في طريقهم إلى الشام، ليتعظوا وينزجروا بما وقع لهم، {وإنهما لبإمام مبين}.

المبحث الثاني

محور سورة الشعراء وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة [شعيب عليه السلام]

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي السورة.

المطلب الثاني: محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الشعراء.

المطلب الأول

بين يدي السورة

اشتهرت هذه السورة باسم الشعراء حتى في كتب السنة، كما تسمى أيضا بسورة الظلة[1]؛ نظرا لتفردها بذكر كلمتي (الشعراء والظلة)[2]، وذكر ابن كثير أن مالكا –رحمه الله– سماها في تفسيره بسورة الجامعة، ولعل سبب تسميتها بذلك يرجع إلى أنها أول سورة اشتملت على ذكر أصحاب الشرائع من الرسل والرسالة المحمدية[3]، وهي سورة مكية إلا آخر أربع آيات منها، ابتداء من قوه تعالى: {وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ}[الشعراء: 224] فنزلت في شعراء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الذين هم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة بالمدينة[4]، وقيل مكية كلها، ونسب ابن عطية هذا القول للجمهور[5]، ومنشأ الاختلاف بين الرأيين يكمن في تحديد المقصود بالشعراء، هل هم شعراء رسول الله الذين هم من أهل المدينة فتكون الآيات التي نزلت فيهم مدنية، أم المقصود شعراء آخرون من أهل مكة فتكون مكية؟

رجح ابن عاشور أن تكون مكية كلها، وعليه فالمقصود بالشعراء الذين كانوا يهجون الرسول –صلى الله عليه وسلم– أمثال النضر بن الحارث والعوراء بنت حرب، وكان المشركون يقصدون مجالستهم وسماع

---

(1) البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص324.

(2) سبق ذكر أسباب تسمية السور بأسمائها في مفتتح سورة الأعراف.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص89.

(4) أبو عمرو الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص196.

(5) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص224.

أشعارهم، وهناك أيضا شعراء مسلمون في الفترة المكية، ومنهم من هاجر إلى الحبشة، أما شعراء المدينة فقد أسلموا قبل الهجرة[1].

وقد تعددت المواضيع التي تناولتها هذه السورة، حيث نجدها استهلت بالقسم ببيان آيات الكتاب الحكيم، وتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– عند تأسفه عن تأخر إيمان المنكرين بما جاء به الهدى، واستفاضت في ذكر قصة موسى وهارون ومناظرته مع فرعون، وذكر حادثة السحرة وخداعهم في أول الأمر وانقيادهم في نهاية المطاف، ومطاردة فرعون موسى وسفره مع بني إسرائيل من مصر، وانفلاق البحر وإغراق فرعون ومن معه، وذكر دعاء إبراهيم –عليه السلام–، واستغاثة الكفار من جحيم جهنم، وعرض قصة نوح –عليه السلام– وإغراق قومه بالطوفان، وقص عتو عاد وهلاك ثمود وقوم لوط، وسرد قصة شعيب وإبادة أصحاب الأيكة، وختمت بذكر موضوع نزول جبريل –عليه السلام– بالوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين، وأمره –صلى الله عليه وسلم– بإنذار عشيرته المقربين، بحكمة ولين، وإظهار غواء شعراء الجاهلية، والتذكير بأن العذاب الأليم هو مصير كل ظالم وعاقبته[2].

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص89– 207.

[2] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص345.

المطلب الثاني

محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

تدور سورة الشعراء حول الأغراض التي تعالجها السور المكية عموما، لاسيما التي تبدأ بالحروف المقطعة التي تكون غالبا مرتبطة بإعجاز القرآن، لذا نجد كل مفسر نظر إلى غرضها من زاوية معينة، وبطريقة مختلفة في التناول، حسب ما يستحضره من الروابط والظروف المحيطة بها، والمفاتيح التي انطلق من خلالها، وسأتطرق هنا لأقوال بعض المفسرين، منهم:

1. **البقاعي:** يرى أن مقصود هذه السورة هو إظهار أن هذا الكتاب المبين يدل ببيانه وإعجازه على أنه من عند فاطر السموات والأرض، ومن ذلك البيان ذكره أحوال الأمم وتفاصيلها، وتسكين أسف النبي –صلى الله عليه وسلم– على من لم يؤمن من قومه، رحمة به ودفعا لتفشي هذا الخوف والأسى والهوان في أمته، وخوفا من أن يتعمد الكفار إظهار كفرهم قصد إذايته، وأن الله سيتولى أمر هلاك من علم دوام كفره، ورحمة من أراد هدايته وتوفيقه، كما أن من مقاصدها التمييز بين القرآن الكريم المعجز الهادي إلى الاستقامة، وبين أضرب الكلام كالشعر، فهو أعدل في الموازين والمقادير، وأشد حرا من الظلمة لمن يقصد مبارزته بالعصيان كما دلت قصة شعيب على ذلك[1].

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج14، ص1–2.

2. **سيد قطب**[1]: صرح بأن موضوع هذه السورة يعالج الذي تعالجه عموم السور المكية وهو التوحيد وإصلاح المعتقدات، ويغلب على جوها التكذيب والتحذير الموجه لمشركي قريش الذين طلبوا بنزول العذب حالا، المستهزئين بالوحي الذي زعموا أنه من الشعر أو السحر، ويندرج ضمن إصلاح العقيدة، ما يلي:

أ. توحيد الله وعدم الإشراك به كما صرح بذلك تعالى بقوله: {فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: 213].

ب. الخوف من فزع الآخرة وهول البعث والحساب، الذي لا ينفع معه جاه الدنيا، كما نص عليه قوله عز وجل: {وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ} [الشعراء: 87-89].

ت. الإيمان الجازم بالوحي المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– كما في قوله تعالى: {وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الشعراء: 192].

ث. التحذير من عاقبة المكذبين، سواء في العاجلة الذي يزلزل المستكبرين، أو الآجلة الذي يطال الكافرين، كما ينص على ذلك قول عز وجل: {وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ} [الشعراء: 227].

3. **الطاهر بن عاشور**: ذهب إلى أن محور هذه السورة يتمحور حول أغراض منها:

أ. التنويه بالقرآن الكريم المعجز الذي تحدى كل المخلوقات، فعجزت عن الإتيان بمثل مثله رغم الحاجة الملحة لذلك.

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج19، ص2583– 2584.

ب. تسلية قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– وتقويته على ما واجهه من إعراض قومه عم دعاهم إليه القرآن من العبودية والتوحيد. وطلبهم أن يأتيهم بأمور خارقة للعادة، فقص عليه ما قصص الأنبياء السابقين، وأنهم طلب منهم ما طلب منك فلا تجزع، لذلك ختم كل طلب جاء به المكذبين بتذييل واحد، وهو قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ} [الشعراء: 8-9] ويتضمن ذلك تهديدا ووعيدا لهؤلاء المعرضين، وأنهم معرضون لما تعرضت له الأمم السالفة المكذبة بالله وبما جاءت به رسله من الهلاك[1].

4. **موسوعة التفسير الموضوعي:** ركزت في تحديد محور السورة على الآيتين المتكررتين في السورة ثمان مرات، عند انتهاء كل قصة، وهي قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ}[الآيات:9 و6 و 104و 122 و 140 و159 و175 و191] وقوله تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ} الذي تكرر سبع مرات مما يشير إلى أن التقوى والطاعة أساس كل دعوة، واعتبرت أن عمود السورة الذي يربط بين أجزائها هو الاتعاظ والاعتبار من قصص الأمم السابقة وما يستنبط منها من حكم دالة على عظمة الخالق، وحسن تدبير للمخلوقات، الذي يستحق الإفراد بالعبودية والوحدانية المطلقة، وتبرز السورة أساليب الأنبياء في مخاطبة أقوامهم ومحاججتهم لهم، وما نالهم عقب ذلك من التكذيب والتعذيب، لتخلص بذلك إلى اتحاد كل الرسلات على مبدأ واحد، ليكون ذلك عبرة لأهل مكة لعلهم

---

(1) بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج19، ص91.

يرجعون، كما عقدت مقارنة بين عاقبة المتقين وعاقبة المهلكين، وختمت بما بدأت به من التأكيد على عظمة القرآن الكريم[1].

5. **طهماز:** حصر موضوع السورة في فلك سنن الله في خلقه التي لا تتخلف، ومنها عقاب المعاندين الجاحدين للحق، بعد اعطائهم مهلة التفكير والاعتبار، وإبراز الأدلة الدامغة لهم، فرتبت هذه الأجداث بهذا الترتيب:

أ. إبراز عناد مشركي مكة وإعراضهم عن معجزة القرآن الساطعة، مع حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– على إيمانهم.

ب. عرض صور من جبروت وتمرد بعض الأمم السابقة، مما أودى بهم إلى الردى.

ت. عادت في النهاية إلى عناد مشركي مكة المنكرين لإعجاز القرآن رغم ما وصفوا به من الفصاحة البيان، وحرصهم الشديد على محاكاته.

ث. دحض ونسف الشبهات التي رموا بها القرآن من قبيل أنه من الشياطين، وزعمهم أنه من أضرب الشعر، وأكدت أنه تنزيل من حكيم حميد، وتوعدت الجاحدين بالخلود في الجحيم.[2]

6. **مناقشة الأقوال:** هناك تقارب كبير بين هذه الآراء، التي وإن اختلفت الزوايا التي انطلق منها كل مفسر، فالبقاعي تمسك بما استهلت به السورة من الحروف المتقطعة وما تابع ذلك من التنويه بإعجاز القرآن

---

[1] مسلم، مصطفى، وآخرون، موسوعة **التفسير الموضوعي**، ج 5، ص 328.

[2] طهماز، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، ج6، ص139–140.

مؤكدا ذلك بما ورد في السورة من نفي الوحي أن يكون شعرا، أو من تقول الشيطان، وتابعه ابن عاشور في هذا المنحى وأضاف له بعض التفصيلات كربطه بتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– وقصص الأنبياء، أما سيد قطب فانطلق من وقت نزول السورة مركزا على الهدف الرئيسي للسور المكية الذي هو التوحيد، معتمدا في استدلاله على ذلك بما ورد في السورة من نبذ الشرك، والتحذير من عواقبه الجسيمة، أما موسوعة التفسير الموضوعي فاعتمدت في استخراج عمود السورة على الآيات التي تتكرر في السورة من أخذ العبرة مما وقع لأمم الأنبياء المذكورين في السورة، وملازمة التقوى والطاعة لما أمروا به، أما طهماز سلك سبيلا آخر في استخراج مقصد السورة، حيث بدأ من القوانين الكونية وما جرت به سنة الله في إهلاك الجبابرة ليكونوا عبرة لمن تجبر من أهل مكة.

وبناء على ما تمت مناقشته يترجح لدي ما ذهب إليه طهماز من أن محور السورة يدور في فلك سنن الله التي لا تتخلف في إهلاك المعاندين، خصوصا أن السورة استعرضت نماذج كثيرة من الأمم المستأصلة.

علاقة قصة شعيب بمحور السورة وموضوعاتها:

أما ما يخص علاقة قصة شعيب –عليه السلام– بمحور سورة الشعراء وبالقصص الأخرى التي ذكرت فيها فيكمن –والله أعلم– في الإنذار من العذاب الذي ينتظر المكذبين، وذلك لأن السورة نزلت في سياق تكذيب المشركين لما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– بعد الجهر بالدعوة بعد نزول قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء:214] والاستهزاء به، وبما حذرهم به من العذاب، واتهموه بأنه ساحر، وأن ما يقوله شعر تنزلت به الشياطين، فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يتأسف على عدم إيمانهم،{ ولعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} [الشعراء:3] فقص الله عليه سبع قصص من أخبار الأمم

البائدة، ومن بينها أصـــحاب الأيكة، وبين له أن كل الأنبياء المرســـلين من قبلك لم تســـتجب لهم أقوامهم برمتها، وإنما يؤمن مع كل نبي طائفة من قومه، لذلك تختم كل قصـة ذكرت بقوله تعالى: {كذب أصـحاب} وتختتم بقوله: {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم}.

علاقة مقطع قصة شعيب وتاريخ نزوله بالسيرة النبوية:

نزلت سورة الشعراء بعد سورة الواقعة، التي نزلت بدورها بعد سورة طه، وكان زمن نزول سورة طه في الفترة ما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء والمعراج، فيترجح أن سورة الشعراء أيضا نزلت في ذلك الزمن[1]، وهذه السورة أيضا بدورها تنتمي إلى تلك الفترة التي اشتد فيها الضغط على المسلمين، حتى اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة، واستمر تمرد المشركين على النبي –صلى الله عليه وسلم– وحصاره، وحاولوا أن ينشروا سمعة سيئة عنه للقبائل حتى لا تدافع عنه أو تستقبله أو تؤمن به، ولاحقوا المسلمين حيثما توجهوا، للإلحاق الضرر بهم، حتى في الحبشة، واتهموا النبي –صلى الله عليه والسلام– بالجنون، حتى لا يسمع له أحد، وزعموا أن ما يتلوه من الآيات البينة شعر يعلمه له الجن.

وطلبوا منه أن يأتيهم بخوارق العادة حتى يصدقوه، فنزلت هذه السورة لتربط على قلبه –صلى الله عليه وسلم– وتبين له أن هذه سنة الرسل الذين من قبلك، مثل نوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب–عليهم السلام–

---

[1] ينظر جعفر شرف الدين، **الموسوعة التفسيرية خصائص السور**، ج6، ص143.

حتى لا يحزن على قومه ويتأســف على عدم إيمانهم، وأن ما اتهموه به من الســحر والجنون والشــعر بعد دعوته الجهرية[1]، والانتقال من مرحلة {وأنذر عشيرتك الأقربين} إلى مرحلة {فاصدع بما تؤمر}.

[1] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج1، ص263.

المبحث الثالث

أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة الشعراء

وردت قصة شعب –عليه السلام في سورة الشعراء من حيث الترتيب في الرتبة السابعة بعد ذكر كل من قصة موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط –عليهم السلام– وبدأت من الآية 176 إلى الآية 191، ومن الدلالات التي وردت فيها، ما يأتي:

1. لماذا ذكرت الآية الكريمة المرسلين بصيغة الجمع في قوله تعالى: {كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ} [الشعراء: 176] مع أنهم كذبوا رسولهم فقط؟

قيل لأن تكذيب نبي واحد من أنبياء الله تعالى يستلزم بالضرورة التكذيب بسائر الأنبياء؛ لأن دعوتهم عامة تشترك في دعوة البشرية إلى توحيد الله، والإيمان باليوم الآخير، فبم أنهم كذبوا نبيهم فهم في الحقيقة مكذبون لكل الأنبياء كما تدل على ذلك صيغة الجمع[1].

2. لماذا تكرر قوله تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الشعراء: 179-180] بعد ذكر خمس من قصص الأنبياء في هذه السورة؟

---

(1) الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد على معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ) ج4، ص235.

للتأكيد على أن الأنبياء متفقون في الحث على الدعوة إلى تقوى الله وطاعته، والعفة والأمانة، والامتناع عن أخذ الأجرة مقابل ما يقومون به من نشر الدعوة[1]، وذكر القشيري أن على العلماء –الذين هم ورثة الأنبياء– أن يقتدوا بهم في هذا النهج، وألا يطلبوا مقابلا فيما يقومون به من بث العلم ونشره ليبارك الله لهم فيه[2].

3. الجبلة: للعرب فيها لغتان كسر الجيم والباء وتشديد اللام، وضم الجيم والباء وتشديد اللام، لكن إذا حذفت الهاء التي في آخرها كثر فيها ضم الجيم والباء[3] كما في قوله تعالى: {وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ} [يس: 62] واختلف في دلالتها المقصودة هنا، فقيل:

أ.الخلق المتحد الغليظ، وهو مأخوذ بهذا المعنى من الجبل[4]، واستشهدوا على ذلك بقول امرئ القيس:

والمَوْتُ أعظمُ حادِثٍ فيما يَمُرُّ على الجِبِلَّهْ

---

(1) الخازن: أبو الحسن علاء الدين على بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ) ج3، ص331؛ البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج14، ص86.

(2) القشيري: عبد الكريم بن هوزان، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 2000) ج 3، ص18.

(3) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج19، ص 391.

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص174.

وقال المهداوي: " وهو الجمع الكثير العدد من الناس"[1] خصـــوصـــا الأمم التي كانت على خلقة عظيمة وصلابة قوية كالجبال[2]، كعاد الذين بلغ بهم الأمر أن يقولوا: {مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت: 15]

ب. وقيل مأخوذ من جبل على الشيء إذا طبع وفطر عليه[3]، أي جبلوا على أحوالهم التي كانوا عليها.

ويمكن الجمع بين المعنيين على أساس أن يكون معناها الخلق الأولين "المجبولين على أحوالهم التي بنوا عليها وسبلهم التي قيضوا لسلوكها"[4]

4. المسـحرين: أختلف في الدلالة المعنية بها في هذه الآية، ومنشـأ الخلاف نابع عن مصـدر الكلمة، هل هي مشتقة من سحَر –بالفتح– أو سحِر –بالكسر–، وبناء عليه تختلف دلالتها، حسب الشكل التالي:

أ.الفريق الذي يرى أنها مشـتقة من سـحِر بالكسـر[5] قالوا إن مقصـودهم أن شـعيبا –عليه السـلام– سـحر حتى غلب على عقله وصار مخبولا لا يفقه ما يقول، ولا يدري مصلحته، فأصحاب هذا الرأي –والله أعلم– بنوا قولهم هذا على ما جرت به ســنة المكذبين من رمي الأنبياء بالســحر والجنون، مصــداقا لقوله تعالى: {كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ} [الذاريات: 52].

---

(1) المصدر نفسه.

(2) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج14، ص88.

(3) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج8، ص 550.

(4) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج10، ص117.

(5) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص 328؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 4، ص240؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج24، ص 525.

ب.الفريق الذي يرى أنه مشـتق من سـحر بالفتح، قالوا إنهم عنوا به أنه ليس بنبي وإنما هو بشـر مثلهم يأكل ويشـرب، ظنا منهم كما ظن كفار قريش أن الرسـول عليه ألا يكون من البشـر {وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا} [الفرقان: 7]؛ لأن المسحر مفعل من السحرة، يعني صاحب سحرة، وهي طرف الحلقوم والرئة وما تعلق بها[1]، ومن ذلك قول أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– في معرض كلامها عن وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم–: « فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَـهُ اللهُ بَيْنَ سَـحْرِي وَنَحْرِي »[2] ولعل أصـحاب هذا الرأي اختاروا هذا المعنى بناء على ما ورد في الآية التي بعدها من تأكيديهم على بشريته، بقولهم: {وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا } [الشعراء: 186].

وقد يجمع بين المعنيين معا على أن يكون قصـدهم أنه بشـر مثلهم يأكل ويشـرب، وقد مسـه السـحر فزعم ما دعا إليه.

5. قال تعالى في سياق قصة هود {مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا} [الشعراء: 154] بدون واو بينما ورت بالواو في قصة قوم شعيب {وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ} [الشعراء: 186] ما الفرق بين التعبيرين؟

إخال الواو في الآية يعطى للآية معنى آخر، فقوم شـــعيب أتوا بالواو لدلالة على أن نبيهم –عليه السـلام– كما يزعمون، جمع بين وصـفين متنافيين ومتناقضـين مع الرسـالة للمبالغة في تكذبيه، وهما

---

(1) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج17، ص627؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 4، ص240.

(2) أخرجه البخاري **في الصحيح**، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ج2، ص103، رقم (1389)؛ ومسلم في **الصحيح**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، ج4، ص 1893، رقم (2443).

التسحير والبشرية، فالرسول عندهم لا يمكن أن يكون بشرا ولا مسحرا، وأكدوا ذلك بقولهم: {وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ} [الشعراء: 186] وطلبوا منه أن يأتي بمعجزة ملموسة، أما الآية التي تركت فيها الواو فلم يقصد بها إلا معنى واحد، وهو أنه مسحر فتقرر بذلك أنه من البشر[1].

واختار النيسابوري أن يكون سبب الاتيان بالواو هو طبيعة الحوار الدائر بين كل نبي وقومه، فشعيب – عليه السلام– الذي هو خطيب الأنبياء بالغ في زجرهم وخطابهم فبالغوا في الرد عليه وأتوا بالواو، بينما قال قوم صالح في الجواب لأن نبيهم قال في الخطاب[2].

6. كسفا: قرأها حفص هنا بالتحريك وقرأ الجمهور بالسكون، والكسَف بفتح السين جمع كسفة، مثل كسرة وكسر، وكذلك قراءة السكون أيضا جمع كسفة نحو سدرة وسدر[3]، وقيل الكسف بالتحريك صيغة جمع وبالسكون مفرد[4]، ومعناه: "القطعة من الشيء"[5] والمقصود به هنا "قطعا من السماء"[6]، وانتصب

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص 333؛ الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج10، ص117.

(2) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ) ج5، ص284.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص 333.

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج10، ص330.

(5) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م) ج4، ص1421.

(6) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج19، ص392.

على الحال، وهو على تقدير مضـاف إن قصـد به الجمع، أي ذات كسـف، أما إذا حمل على أنه فعل بمعنى مفعول فلا يحتاج إلى تقدير، ولم يؤنث لأن السماء مؤنث مجازي، أو لأنها بمعنى السقف[1].

7. {عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ} [الشعراء: 189] ورد وصف العذاب الذي أهلك به قوم شعيب في ثلاث سور، ووسم في كل واحدة منها يوصف مختلف، حيث ذكر في سورة الأعراف أنهم أهلكوا بالرجفة: {فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ} [الأعراف: 91] وفي سورة هود بالصيحة: {وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ} [هود: 94] وقال هنا في الشعراء إنهم عذبوا بالظلة: {فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ} [الشعراء: 189]، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات؟

اختلف أهل هذا الشأن في تأويل هذه الآيات، حيث سلك بعضهم مسلك الجمع بينها، والبعض الآخر اختار مسار اختلاف السياق، وذلك على النحو التالي:

أ.قول يرى أن شعيبا –عليه السلام– أرسل إلى أمتين مختلفتين مدين والأيكة[2]، قال رشيد رضا: "أرسله إلى قومه أهل مدين، وإلى من اتصل بهم إلى ساحل البحر الأحمر ... فكان عذاب مدين بالرجفة والصيحة المصاحبة لها، وعذاب أصحاب الأيكة بالسموم، وشدة الحر الذي انتهى بظلة من السحاب"[3].

---

(1) السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج7، ص410.

(2) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج5، ص7.

(3) رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج9، ص12.

وهناك من ذهب إلى أنه بعث إلى ثلاث أمم، واعتبر أن أصـحاب الرس من قوم شـعيب[1]، وأهلكت كل أمة منهم بنوع من العذاب، وقد تقدم ضعف هذا الرأي وضعف الأثر الذي تمسكوا به.

ب.قول ذهب إلى أن شـعيبا –عليه السـلام– أرسـل إلى أمة واحدة، لكن فرقة منهم أهلكت بالرجفة، وفرقة أخرى أهلكت بالصيحة[2] .

ت.وهناك قول يرى أنهم أهلكوا بعذاب واحد، وذكر في كل سـورة بما يتناسـب مع سـياقها، فسـمي في الأعراف بالرجفة التي تناسب ما هددوه به من الإخراج من القرية، فأخذتهم الرجفة لأنهم أرجفوا بنبيهم، ووصف في هود بالصيحة التي سكتتهم؛ لأنهم تهكموا به واستهزؤا، ووسم هنا بالظلة لأنهم تعنتوا وعاندوا فطلبوا نزول العذاب الذي استبعدوه[3].

ث.وذهبت ثلة من أهل هذا الشـأن إلى أنهم أصـيبوا بهذه الأصـناف من العذاب في يوم واحد، وذلك أن الله لما أراد أن يهلكهم أرسـل إليهم ملكا فصـاح بهم صـيحة شـديدة، حتى رجفت بهم الأرض رجفة قوية، فخرجوا من بيوتهم فأصـابهم حر شـديد، ففزعوا إلى الظلة التي هي السـحابة ليسـتظلوا بها "فصـاح بهم صـيحة

---

(1) البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج3، ص446.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص 429.

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص171.

فماتوا جميعا"[1]. وقيل التهبتهم نارا[2]. وهذا هو الراجح –والله أعلم– بدليل أن الآية نسبت العذاب إلى يوم الظلة لا إلى الظلة نفسها، إيماء إلى أنه وقع لهم في ذلك اليوم عذاب غيره[3]. فكانت هذه نهايتهم.

أبرز نتائج هذه السورة:

بدأت كل القصص الواردة في هذه السورة بأسلوب مخالف لسورتي هود والأعراف، حيث تستهل كل قصة بقوله تعالى: {كذب أصحاب} مثل كذب أصحب الأيكة المرسلين، وكذبت قوم لوط المرسلين، كذبت ثمود المرسلين.

ختمت كل القصص الواردة في السورة بقوله تعالى: {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم}.

وصفت السورة كل الأمم التي ذكرت بأنهم إخوة أنبيائهم وذلك بقوله تعالى: {إذ قال لهم أخوهم} إلا شعيبا –عليه السلام– لأن السورة ذكرت قومه بالنسبة إلى الشجرة التي يعبدونها فنزهته عن أخوته لهم في تلك الحالة.

وصف قوم شعيب نبيهم بأنه مسحور وأنه بشر مثلهم لم يكن مرسلا من الله، ونفس الكلام رمى به ثمود نبيهم صالحا –عليه السلام– واقتفت قريش أثر تلك الأمم فوصفوا نبيهم بأنه بشر مسحور ومجنون.

---

(1) ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج9، ص2815؛ **درة التنزيل وغرة التأويل**، ج2، ص628.

(2) الطبري، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن**، ج19، ص393.

(3) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ) ج4، ص133.

انفردت هذه السورة عن باقي السور التي ذكرت قصة قوم شعيب بذكر القسطاس، وطلبهم بنزول العذاب آجلا.

المبحث الثالث

محور سورة العنكبوت وأسلوبها وعلاقتها بمشهد قصة شعيب [عليه السلام]

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بين يدي السورة.

المطلب الثاني: محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام.

المطلب الثالث: أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة العنكبوت.

المطلب الأول

بين يدي السورة

ذكر ابن عاشور أن سورة العنكبوت اشتهرت تسميتها بهذا الاسم منذ زمن النبوءة، وسميت بذلك لأنها متفردة بذكر لفظ العنكبوت، وهي سورة مكية كلها في رأي الجمهور، وتعتبر من آواخر ما نزل بمكة[1]، وقيل مكية إلا عشر آيات من مستهلها فإنهن نزلن بالمدينة[2] على المسلمين الذين كرهوا الجهاد الذي فرض بالمدينة[3]، ورجح ابن عطية هذا الرأي[4].

والأرجح عندي هو ما ذهب إليه الجمهور من كونها مكية كلها، ومما يؤكد ذلك وجود الآيات التي نزلت في إسلام سعد بن أبي وقاص –وهو في مكة بلا شك– ضمن هذه العشر الآيات الأولى[5].

ومواضيع هذه السورة متعددة حيث استهلت بتوبيخ أهل الفتن والكذب، وترغيب أصحاب التقوى، والوصية بالوالدين والاحسان إليهما، وذكر جرأة المنافقين على حمل الأوزار، وتطرقت إلى بعض مصائب الأنبياء تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– كقصة نوح وإبراهيم عليهما السلام، وتحذير لوط لقومه من الخبائث،

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص199؛ البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص343.

(2) أبو عمرو الداني، **البيان في عد آي القرآن**، ص203.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج8، ص338.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 4، ص305.

(5) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ)، ص 351.

وعدم تقبلهم لنصحه مما أودى بهم إلى الردى، ولمحت إلى قصة قوم شعيب، وذم عباد الأصنام، وتمثيل الأصنام ببيوت العناكب، وإقامة براهن التوحيد، وذكر نهي الصلاة عن الفواحش والمناكير، وتطرقت إلى آداب مجادلة أهل الكتاب، وإيضاح الحكمة من جعل نبينا –عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم أميا، وحكت استعجال الكفار نزول العذاب رغم أن كل نفس مآلها الفناء، ووعدت المؤمنين بالثواب الجزيل، وأن الله يتولى رزق كل من يدب على وجه الأرض، وأن مصير الدنيا الزوال، وأن الآخرة هي دار الحياة الباقية، ووضحت أمن الحرم وحرمته، وأخبرت بأن الجهاد هو ثمن الهداية واتباع السبيل المستقيم، وأن الله دائما مع المحسنين من عباده[1].

---

[1] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، ج1، ص360.

المطلب الثاني

محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة شعيب عليه السلام

تتمحور سورة العنكبوت حول المواضيع التي ركزت عليها السور التي ذكرت فيها قصة شعيب؛ لأن تجتمع في كونها مكية كلها، واستهلالها بالحروف المقطعة، وقد تنوعت أراء المفسرين في تحديد عمودها الأساسي الذي يربط بين مواضيعها وأجزائها، وسأذكر بعض هذه الأقوال.

1. **البقاعي:** رأيه مخالف لما عليه أغلب المفسرين، حيث جعل محورها مشابها لمحاور السور المدنية، حيث ركز على الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد في السورة، والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وجعل نزول السورة ايذانا بوشك ضعف شوكة الكفار كضعف نسيج العنكبوت، وإشعارا بشروع قوة شوكة المؤمنين[1].
2. **سيد قطب:** اعتبر السورة مكية كلها، وفسر الجهاد الذي ذكر فيها بجهاد النفس حتى تصبر وتقاوم الفتن، وجعل الرابط الأساسي بين أطراف السورة هو: أن كلمة الإيمان تعني الصبر على المكاره وتحمل التكاليف، وليس فقط مجرد كلمة تقال، بل الصبر على ما أحيط به طريق هذه الكلمة من التكاليف والمكاره، ويمضي هذا السياق في كل الآية ويظهر بصور مختلفة، منها:

أ. استعراض مشاهد قصص الأنبياء التي تصور ألوانا من الفتن والعقبات التي واجهتهم في طريق الدعوة إلى الله.

---

[1] البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج2، ص345.

ب. ربط بين الحق الكامن في دعوات الأنبياء جميعا بالحق في خلق السموات والأرض، ويمضي في تفصيل الكتاب الخاتم للكتب، والكيفية التي استقبله به المشركين، الذين يطلبون أشياء خارقة للعادة، واطلبهم بنزول العذاب آجلا.

ت. ختمت السورة بمدح المجاهدين في سبيل الله، ليتناسب مطلعها مع ختامها.

ويستمر سياق السورة نفسها في ذلك المحور الموحد في أشواط ثلاثة:

الأول: بركز على جوهر الإيمان، وما جرت به سنة الله في الابتلاء والإهلاك، وذكر مصير كل فريق من المؤمنين والمشركين.

الثاني: يعرض قصص الأنبياء –عليهم السلام– وما يحيط طريقهم من الفتن والابتلاء والعقبات.

الثالث: يعالج كيفية محاججة ومجادلة أهل الكتاب بالحسنى، إلا الذين ظلموا منهم، كما عالج موضوع وحدة الأديان كلها مع هذه الشريعة الخاتمة، التي عارضها الكفار، وجاحدها المشركون، وختم بالبشرى التي وعد الله بها المجاهدين[1].

3. **الطاهر بن عاشور**: جعل الحروف المقطعة مفتاح غرض السورة، الذي انقسم إلى فروع متعددة، منها:

أ. تثبيت المؤمنين الذي افتتنوا بمصادرة المشركين لهم عن الدين، وعن الهجرة.

ب. وعد الله عباده المؤمنين بالنصر القريب، ومخاذلة أهل الشرك ومن ناصرهم من أهل الكتاب.

ت. الأمر بالابتعاد عن المشركين ومجافاتهم ولو كانوا أولي قربى.

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج20، ص2718– 2719.

ث. وجوب تحمل أذى المشركين، والصبر على ما نالهم حتى يجدوا في الأرض الله سعة.

ج. أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بتبليغ الرسالة، التي من عند الله، لا من عند النبي الأمي، والثبات على ذلك اقتداء بإخوانه الأنبياء السابقين، ومحاججة أهل الكتاب بالحسنى.

ح. تذكير المشركين بالنعم التي أصبغها الله عليهم، وإلزامهم بالإقرار بوحدانيته.

خ. الاستدلال على البعث والنشور بطريق النظر في بداية الخلق الذي هو أصعب من إعادته.

د. ضرب المثل بتشبيه من يتخذ المشركين أولياء من دون الله ببيت العنكبوت[1].

4. **موسوعة التفسير الموضوعي:** ترى أن محور هذه السورة يدور حول ثبات الإيمان وقت الشدة والفتنة، فالمسلم معرض للابتلاء والاختبار بالمال والبنين والشهوات والمناصب، لرفع درجات العبد، {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: 7] فلا يظن أن الإيمان يقيه من البلايا، فيرتد عندما يضيق حاله ويجزع، وقد ابتلى الله أنبياءه فقاوموا بالصبر والعزيمة، حتى أتاهم النصر المبين[2].

5. **طهماز:** جعل مركز السور هو الابتلاء الذي نال منه الأنبياء والصالحون حصة كبيرة، وقارنت السورة بين الفائزين في معركة الابتلاء بالخاسرين فيها، فجعلت مثوى الصابرين الثابتين الهداية إلى سبيل الرحمة، وجعلت مصير الخاسرين في الابتلاء الثبور[3].

---

(1) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص201.

(2) مسلم، مصطفى، وآخرون، موسوعة **التفسير الموضوعي**، ج 5، ص 580.

(3) طهماز، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، ج6، ص361–362.

6. **مناقشة الأقوال:** عند النظر في هذه الأقوال يتضح أن البقاعي جعل السورة ممهدة للمرحلة المدنية فركز على الجهاد الذي لمحت إليه السورة، بينما حمل سيد قطب الجهاد على الجهاد الأكبر جهاد النفس وحملها على تحمل ما يواجهها من نكبات وابتلاء، أما الطاهر بن عاشور فركز على العناصر التي توحي بأنها مكية كمواجهة المشركين، وإثبات وحدانية الله، والبعث والنشور، وموسوعة التفسير الموضوعي وطهماز تمسكا بمبدأ الثبات والصبر عند الابتلاء.

في رأيي –والله أعلم– السورة مزجت بين مواضيع السور المكية كالتوحيد والبعث والنشور وقصص الأنبياء، ومواضيع السور المدنية كالجهاد ومناقشة أهل الكتاب؛ لأنها من أواخر ما نزل في العهد المكي، بل هناك من ذهب إلى أنها نزلت بين مكة والمدينة، أو أنها مدنية كاملة[1]، وتعتبر من السور القلائل التي افتتحت بالحروف المقطعة دون ذكر القرآن الكريم.

والذي أرجحه هو ما ذهب إليه البقاعي من أن السورة تمهد لمبدأ الجهاد الذي يعم بالجهاد بالنفس وجهاد النفس، خصوصا وأن السورة تعتبر من أواخر ما نزل بمكة، حيث نزلت قبيل الهجرة بفترة قصيرة، بل اعتبرها البعض من قبيل ما نزل بين مكة والمدينة.

علاقة قصة شعيب بمحور السورة وموضوعاتها:

أما العلاقة التي تجمع بين قصة شعيب –عليه السلام– ومحور سورة العنكبوت وما ورد فيها من أخبار وقصص الأمم الغابرة، فيمكن القول إنه الابتلاء الذي أبتلي به المسلمون في الفترة المكية، وإبراز دور

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص201.

الإيمان الحقيقي الذي ينجي صاحبه من الهلاك، فقد نجا موسى –عليه السلام– من الغرق، ونوح –عليه السلام– من الطوفان، ولوط –عليه السلام– من الخسف، وشعيب –عليه السلام– من الرجفة، ونجي معهم من آمن بهم، واجتهد معهم في الدعوة، أما الجاحدين الصادين عن السبيل {فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [العنكبوت: 36–40] ودعت السورة المسلمين إلى مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فكان هذا الخطاب إشعارا للجهاد سواء جهاد النفسي أو الجهاد بالنفس الذي سيفرض في الفترة المدنية، بعد الدعوة بالحسنى، خصوصا وأن هذه السورة تعتبر من آواخر ما نزل في المرحلة المكية، ولعل ذكر الموت والجهاد في آخرها يومئ إلى الهجرة.

علاقة مقطع قصة شعيب وتاريخ نزوله بالسيرة النبوية:

يرجع تاريخ نزول سورة العنكبوت إلى آواخر الفترة المكية، حيث نزلت بعد سورة الروم، التي تحدثت عن انهزام الروم وانتصار الفرس عليهم، وكان ذلك قبل الهجرة بفترة وجيزة، فتكون سورة العنكبوت نزلت في تلك الحقبة، أي ما بين الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة المنورة[1]، وهذه الفترة أيضا تعتبر مرحلة ضعف الأقلية المسلمة من الصحابة –رضوان الله عليهم– في مكة، حيث اشتد الضغط عليهم، من قبل مشركي قريش، الذين يسلطون عليهم سفهاءهم، وعبيدهم، وتبعتهم القبائل في نفس النهج، لضيق الخناق على الدعوة وإفشالها، لتبدأ مرحلة التجهيز للهجرة، وذكر ابن عاشور أنها نزلت في آواخر سنى إحدى عشرة قبل الهجرة،

---

[1] ينظر، جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1999م) ج6، ص253.

حيث لم ينزل بعدها إلا سورة المطففين[1]، حيث أتت هذه السورة لتثبيت المؤمنين على الإسلام، وعدم الاستسلام رغم ما يتعرضون له من طرف المشركين، وتحدثت عن حقيقة الإيمان، وسنة ابتلاء المؤمنين، ملونة ذلك بنماذج من قصص الأنبياء السابقين الذين مروا من نفس التجربة، لكن في النهاية تكون لهم العاقبة، وأن من صبر واحتسب فإن الله مؤيده، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} [العنكبوت:69].

[1] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص199.

المطلب الثالث

أسلوب قصة شعيب عليه السلام في سورة العنكبوت

ورد ذكر قصة شعب –عليه السلام في سورة العنكبوت رابعة من حيث الترتيب، بعد قص كل من قصة نوح وإبراهيم ولوط –عليهم الســـلام– ولخصـــت في آيتين: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُـــعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِـــدِينَ فَكَـذَّبُوهُ فَـأَخَـذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَـةُ فَـأَصۡـــبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ} [العنكبوت: 36-37]، وقبل الشروع في عرض الدلالات الواردة فيها هناك سؤال يطرح نفسه وهو: لماذا اقتصر ذكر قصة شعيب –عليه السلام– في السور المكية، ولم يرد ذكرها في القرآن المدني؟

عند النظر في قصة شعيب –عليه السلام– وما دعا إليه قومه من ترك الفساد المالي، نرى أنها وردت كلها في القرآن المكي، ولعل سبب ذلك –والله أعلم– أن مكة وما حولها في الجاهلية فشا فيهم هذا السلوك البشـــع الذي يتنافى مع ما يدعو إليه الإســـلام من العدل والتعاون والتضـــامن، لمح الله لهم تدريجيا بقص قصص هؤلاء القوم الذين يجاورونهم في المكان، ليتعظوا بما وقع لهم من الحذف والهلاك الشامل، مصداقا لقوله تعالى: {لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ} [يوسف: 111] وبما أنهم تمادوا على تلك الفاحشة، كرر لهم تلك القصـــة عدة مرات أحيانا مفصـــلة لأخذ الموعظة، وأحيانا موجزة للتذكير والتنبيه، وكان آخر تذكير لهم في سورة العنكبوت التي تعتبر من آواخر ما نزل بمكة، ولما هاجر النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى المدينة التي بدأ فيها تأســـيس معالم الدولة الإســـلامية، المبنية على الوســـطية والعدل في العبادات والمعاملات، انتقل الخطاب القرآني من التلميح والتعريض بهذا السلوك السيء إلى الخطاب المباشر الموجه لهم في ســورة المطففين، التي كانت أول ما نزل بالمدينة، وكانت هي القول الفصــل الذي جعل أهل المدينة

يقلعون عن تلك العادة المجحفة، لما روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– بسند صحيح[1] أنه قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ "[2].

ومن الدلالات الواردة في هذه السورة:

1. مدين: هي قرية تقع جانب بلاد معان التي بين الحجاز والشام[3]، وقيل اسم قبيلة كتميم وبكر[4]، واختلف في اشتقاقها، فقيل:

أ. مشتقة من مدن بالمكان إذا استوطنه، وعلى هذا فالياء فيه زائدة، وهذا البناء نادر[5]، وهذا ما رجحه من ذهب إلى أنها اسم مدينة.

ب. وقيل مأخوذة من دَينت بمعنى ملكت فالميم على هذا الرأي زائدة، وهذا ما رجحه من حمله على اسم شخص[6].

---

(1) السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م) ص210.

(2) أخرجه الترمذي في **السنن**، كتاب التفسير، سورة المطففين، ج10، ص327، رقم (11590)؛ وابن ماجه في **السنن**، كتاب التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن، ج2، ص748، رقم (2223).

(3) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص342.

(4) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص247.

(5) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص103.

(6) الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص494–495.

وبناء على الاختلاف في الاشتقاق أختلف في سبب التسمية، فقيل سميت بذلك:

أ. نسبة إلى مدين بن إبراهيم الخليل؛ لأن سكانها من نسبه، فاشتهرت بذلك[1].

ب. وقيل مدين اسم ماء، ونسب القوم له، والقول الأول هو الراجح؛ لأن الله تعالى نسب الماء إلى مدين عند قوله: {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ} [القصص: 23] وبذلك يستبعد أن يكون المقصود بها اسم الماء، حتى تكون الإضافة صحيحة[2]. أما من حيث الصرف فاسم مدين في كل الأحوال عند الجمهور ممنوع من الصرف[3].

2.شعيب: هو تصغير شعب[4]، ومعناه قيل: الطريق الذي يكون في الجبل، وقيل مشتق من شعب الإناء إذا كسر، وقيل القبيلة العظمية[5].

واختلفت الأقوال في نسب شعيب –عليه السلام– إلى أقوال كثيرة، يصعب الحسم فيها لأنها تفتقر إلى خبر قاطع[6].

---

(1) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص310؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص199.

(2) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص 54.

(3) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص103.

(4) المرجع السابق.

(5) الماوردي، **النكت والعيون**، ج2، ص495.

(6) ينظر الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص247؛ أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص336؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص55.

وقد وردت أقوال تنسبه إلى العرب، استنادا إلى ما روي من أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لأبي ذر الغفاري، أربعة من الأنبياء من العرب «وَهُمْ هُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَنَبِيُّكَ محمد»[1]، علق الأرناؤوط –محقق الاحسان– على هذا الحديث، وقال إن اسناده ضعيف جدا لأن فيه إبراهيم بن هشام وهو من المجروحين المتروكين[2]، ويرد على هذا الحديث إشكال، وهو أن العرب خرجوا من نسل إسماعيل بن إبراهيم، وليس لهم اتصال بإبراهيم من غير جهة إسماعيل، لذا علق ابن عطية على هذا القول قائلا: "فكيف يجتمع هذا وليس للعرب اتصال بإبراهيم إلا من جهة إسماعيل فقط"[3].

3.ذكر شعيب –عليه السلام– ومدين يطرح سؤالا وهو: هل الذي استأجر موسى –عليه السلام– عند قدومه إلى أرض مدين هو شعيب –عليه السلام– أم هو شخص ثاني؟

انقسم المفسرون في ذلك إلى قسمين:

أ. فريق يرى أن شعيبا –عليه السلام– هو من استأجره، وزوجه إحدى بنتيه، وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين كما قال ذلك غير واحد، قال ابن عطية: " واختلف الناس في الرجل الداعي لموسى عليه السلام من هو، فقال الجمهور هو شعيب عليه السلام"[4]، وحكى ابن كثير أن هذا القول هو المشهور عند

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، ج1، ص534، رقم (807).

(2) الأمير: علاء الدين علي بن بلبان، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1988) ج2، ص79.

(3) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 2، ص79.

(4) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 4، ص284.

كثير من العلماء، قائلا: "أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء"[1]، وقال الألوسي: "وأبوهما عند أكثر المفسرين شعيب عليه السلام"[2]، وبين سبب ترجيحه لهذا الرأي بقوله: "وأنت تعلم أن هذا وأمثاله مما تقدم مما لا يقال من قبل الرأي فالمدار في قبول شيء من ذلك خبر يعول عليه والأخبار التي وقفنا عليها في هذا المطلب مختلفة ولم يتميز عندنا ما هو الأرجح فيما بينها وكأني بك تعول على المشهور الذي عليه أكثر المفسرين وهو أن أباهما على الحقيقة شعيب عليه السلام إلى أن يظهر لك ما يوجب العدول عنه"، وقال ابن عاشور: "وللجزم بأنه شعيب الرسول جعل علماؤنا ما صدر منه في هذه القصة شرعا سابقا"[3].

وهناك أسئلة تطرح نفسها على أصحاب هذا القول منها: كيف يروق للنبي الله أن يخرج بنتيه لسقي الغنم بدون محرم؟

رد أغلب المفسرين على هذا السؤال بما رد به الزمخشري بأن هذا الأمر ليس محظورا، والدين لا يأباه، أما من جانب المروءة فالناس يختلفون في ذلك حسب العادات، والتقاليد، قائلا: "وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة"[4].

---

(1) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص205.

(2) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج10، ص270.

(3) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج20، ص101.

(4) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج3، ص40 2.

ب. فريق يرى أن الذي استأجر موسى –عليه السلام– ليس بنبي الله شعيب، واختلفوا في تحديده، فقيل:

هو رجل عاش في زمن شعيب –عليه السلام– واختلف في تحديد اسمه على أقوال كثيرة كلها وردت بصيغة التضعيف، ومأخوذة في الغالب من الاسرائيليات، منها على سبيل المثال أنه: يثرون ابن أخي شعيب، وقيل اسمه يثرى[1]، وقيل رجل صالح من قوم شعيب[2].

وقيل إن ذلك الرجل ليس من قوم شعيب، لأن بين موسى وشعيب –عليهما السلام– مدة طويلة، فشعيب قريب من زمن لوط الذي بعث في الزمن الذي أرسل فيه إبراهيم –عليه السلام– كما هو نص القرآن، ولعل الخروج من هذا الإشكال هو ما أدى ببعض المفسرين إلى القول بأن شعيبا –عليه السلام– عمّر طويلا[3].

واستدل ابن كثير على ضعف الرأي الأول بأدلة منها: أن الأحاديث التي ذكرت أن صاحب مدين هو شعيب –عليه السلام– لم يصح إسنادها، ويستبعد أن يعيش موسى مع شعيب –عليهما السلام– عشر سنوات دون أن يحكي القرآن الكريم أو السنة النبوية شيئا مما وقع بينهما من أحداث[4]، ووافقه صحاب الظلال في

---

(1) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج19، ص562.

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص205.

(3) المرجع السابق.

(4) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص205.

هذا الاستدلال وأضاف له أن قوم شعيب –عليه السلام– لم يبق منهم بعد نزول العذاب إلا المؤمنين، فلا يليق بهم أن يسقوا ويتركوا بنات نبيهم بدون مساعدة لهن[1].

ولعل الراجح والأسلم في مثل هذه الأمور التي تفتقر إلى دليل نقلي، ولا يمكن تحكيم العقل فيها التوقف عند حد ما حكاه القرآن الكريم، وهذا ما ذهب إليه الطبري، معبرا عنه بعبارة نفيسة، قائلا: "وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه"[2].

وسأختم هذا البحث بمسألة تتعلق معجزات شعيب –عليه السلام–: لأن الله تعالى قال: {قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ} [الأعراف: 85] وقد اختلف المفسرون في ورود معجزاته في القرآن الكريم أم لا؛ خصوصا أنهم اتفقوا على أن كل نبي مؤيد بالمعجزات التي تؤكد صدق نبوته، مصداقا لقول النبي –صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ»[3] قال أبو حيان: " إذ كان نبيّ لا بدّ له من معجزة تدلّ على صدقه"[4]، وعليه ذهب طائفة إلى:

---

(1) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص2687.

(2) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج19، ص562.

(3) أخرجه البخاري **في الصحيح**، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، ج6، ص181، رقم (4981)؛ ومسلم في **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ج1، ص 36، رقم (239).

(4) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص104.

أ. أن معجزاته مذكورة في القرآن، وهذا رأي من رأى أن موسى وشعيبا –عليهما السلام– بعثا في زمن واحد، وبناء عليه قالوا إن ارهاصات الأول معجزات للثاني، ومن هذه المعجزات: محاربة عصا موسى – عليه السلام– للتنين حين دفع له غنمه، وولادة الأغنام الدرع عندما وعده بأن تكون له الدرع من أولادها، قال الزمخشري: "لأنّ هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام، فكانت معجزات لشعيب"[1] وتابع غير واحد الزمخشري في هذا الرأي، لكن أبا حيان[2] انتقد هذا الرأي واعتبره تحيزا لأهل الاعتزال الذين ينكرون وقوع الارهاصات على يد من سيكون نبيا، فحملوا تلك الارهاصات على أنها معجزات لشعيب – عليه السلام–.

ب. أن لديه معجزات، إلا أنها لم تذكر في القرآن الكريم كما أن كثيرا من معجزات نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– وغيره من الأنبياء لم يرد لها ذكر في محكم التنزيل؛ لأن الضرورة لم تدع إلى ذلك[3]، قال السمرقندي: "إلا أن الله تعالى لم يبيّن لنا علامته، وقد بيّن علامة بعض الأنبياء، ولم يبيّن علامة الجميع"[4] وهذا هو الراجح.

والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

---

(1) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ص 127.

(2) أبو حيان، **البحر المحيط**، ج5، ص104.

(3) البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج9، ص367؛ الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج1، ص493؛ الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج4، ص413.

(4) السمرقندي، **بحر العلوم**، ج1، ص532.

أبرز نتائج هذه السورة:

- أعادت هذه السورة القصة بشكل موجز وباستعمال الألفاظ المذكورة في سورتي الأعراف وهود، حيث سمت القوم بأصحاب مدين ونسبتهم إلى شعيب بكونهم أخوة له، وأمرتهم بالتوحيد، ونهتهم من التطفيف.
- سمت السورة العذاب الذي أهلك به أصحاب مدين بالرجفة هي وسورة الأعراف، في حين سمي في سور هود بالصيحة، وفي سورة الشعراء بعذاب يوم الظلة، وكلها مسميات لمسمى واحد باعتبارات مختلفة.

الخاتمة

إن الدراسات السياقية لقصص القرآن الكريم تكشف لنا عن الأساليب المعجزة المكنونة في صدف هذا الكتاب المكنون، الذي أبهر إعجازه الثقلين، وعن الثمار الباسقة في ظلال هذه السور المثمرة، وتزيل الحجاب المسدول على مفرداته البازغة، وترفع عنها ما يمكن أن يشوبها من التباس، وينعش مجال الدراسات الإسلامية بحكم ومواعظ تقتبس من هدي الأنبياء، وتبرز عمق هذا المنجم المستفيض، الغني بالاستنباطات والمعني البراقة التي لا حصرة لها.

ولا ريب أن منهج الدراسات السياقية يستند إلى أصول تراثية راسخة، وضوابط مطردة، في شتى المجالات، من أصول الفقه، وأصول التفسير، والدراسات النصية، والتفسير الموضوعي، والقواعد النحوية، والأساليب البلاغية، مما يبرز تماسك وتلاحم ألفاظ وتراكيب هذا الكتاب المعجز بلفظه ومعناه، ويبقى تحديه لكل المخلوقات شاهدا على مكانته المرموقة على مر العصور.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1. اختلاف المفسرين في تحديد محور السورة أحيانا، حيث يطل كل واحد منهم على مشاهد السورة من زوايا متنوعة، يزيد القصة تكاملا وبعدا جماليا، ويطفى عليها فوائدة عظيمة، تدل على مرونة الأسلوب السردي لقصص القرآن الكريم.

2. أن الظروف التي نزلت فيها السور التي ذكرت فيها قصة شعيب –عليه السلام– في القرآن كاملا متقاربة جدا، ويمكن تحديد زمان نزولها في الفترة التي بين الإسراء والمعراج والهجرة إلى المدينة المنورة.

3. ضرورة مراعاة السياق العام للسورة، والجو الخاص بالقصة، عند ترجيح أي رأي أو قول أو تأويل، خصوصا عندما يقتضى الحال الخروج عن مقتضى الظاهر، مثل حمل قوله تعالى: {إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ} [هود: 87] على المعنى الظاهر أو على المعنى المجازي.

4. وردت قصة شعيب عليه وسلم في كل القرآن مرتبة ترتيبا زمانيا، حيث جاء ذكرها دائما بعد قصة قوم لوط الذين يجاورونهم زمانا ومكانا كما يدل عليه قوله تعالى: {وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ} [هود: 89].

5. لم يرد ذكر قصة شعيب –عليه السلام– في سورة مستقلة في القرآن، بل ترد دائما في سياق قصص الأنبياء السابقين، حيث وردت في المرتبة الخامسة في سورتي الأعراف، وهود، وثالثة في سورة الحجر، وسابعة في الشعراء، ورابعة في العنكبوت.

6. أن قصص القرآن عادة يرد بنفس النسق، فتجد مستهل كل قصة يشبه مفتتحة التي قبلها، مثلا في سورة الأعراف، أغلب القصص الواردة فيها ابتدأت ب: {وإلى} {وإلى عَاد} {وإلى ثمود} {وإلى مدين}. وفي سورة الشعراء {إذ قال لهم أخوهم}. كما أن خاتمة القصة أيضا تكون أحيانا متقاربة كقوله تعالى في قصة ثمود وقصة شعيب {قد جاءتكم بينة من ربكم} وتذكر السورة أحيانا نفس ما وعد به كل قوم نبيهم بأسلوب متقارب جدا، وذلك كقول قوم لوط: {فَمَا كَانَ جَوابَ قَومهِ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ} وقول قوم شعيب: {لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ} وأحيانا تذكر السورة نفس المطالب التي طلبها الأقوام الذين ورد ذكرهم، أو نفس المزاعم، كما هو الشأن في سورة الشعراء، عندما قال قوم ثمود: {وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرُ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ} وقول قوم شعيب: {وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وإِنْ نَظُنكَ لَمِنْ الكَاذِبينَ فَأَسْقِط عَلَينَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ}.

7. أن القصص القرآني يعبر أحيانا عن عذاب أمة واحدة في سور متعددة بألفاظ مختلفة، حسب ما ينسجم مع طبيعة السياق، مما يؤدي بالبعض إلى اعتباره أنواعا مختلفة في فترات متباينة، فمثلا هلاك قوم شعيب ورد في سورة الأعراف أنه كان بالرجفة، وفي هود بالصيحة، وفي الشعراء بالظلة، مع أنه مسمى واحد باعتبارات مختلفة تراعي جو السورة، وكذلك الشأن بالنسبة لتسمية الأقوام، يسميهم بما يقتضيه المقام والسياق، حيث سمى قوم شعيب أحيانا بأصحاب الأيكة، وأحيانا بأصحاب مدين، وأحيانا ينسبهم لشعيب بالنسب فيصفهم بإخوانه، وأحيانا بدون هذه النسبة.

8. تعلمنا قصة شعيب –عليه السلام– أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن في أحلك الظروف والأزمات، وأشد المواقف التي يتعرض فيها الشخص الذي اصطفاه الله على خلقه ليحمل نور رسالته للاستهزاء والتهكم، كما أنها تبرز لنا قيمة الطمأنينة التي تظهر على من اعتمد على الله وفوض له أمره كما يتجلى ذلك في قول شعيب عليه السلام: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود:88].

9. قصة شعيب –عليه السلام– نموذج حي يقتدى به تبليغ الرسالة بحزم وعزم وإسرار مع طول النفس، خصوصا لمن يتصدى للموعظة والدعوة إلى الإسلام، ليصبر ويحتسب ما يناله أحيانا من أذى اللسان، واستهزاء في خلقته، أو أهله، أو عشيرته، أو وضعه الاجتماعي فذاك دأب المرسلين.

التوصيات

انطلاقا من أهمية الدراسات السياقية في التفسير القرآن الكريم، وعظم ما تضمنته قصة شعيب –عليه السلام وغيرها من قصص الأنبياء، ونظرا لأهمية منهج الدراسات السياقية في الوصول إلى الدلالات الصحيحة التي تساعد على الوصول إلى المعاني المرجوة من نصوص القرآن الكريم ينصح البحث بالآتي:

1. ربط الدراسات السياقية بالإعجاز العددي، من خلال دراسات ما يمكن أن يستنبط في ذلك من معاني خفية، خصوصا وأن قصة شعيب –عليه السلام– على سبيل المثال وردت في سور كلها تبدأ بالحروف المقطعة، كما أن هناك تقاربا أرقام الآيات التي وردت فيها هذه القصة، فعلى سبيل المثال بدأت قصته

في سورة الأعراف من الآية 85، وبدأت أيضا في سورة هود من الآية 84، وأيضا وردت في المرتبة الرابعة من حيث الترتيب في السورتين معا.

2. توسيع نطاق الدراسات السياقية وتعميم المنهج نفسه على باقي قصص القرآن الكريم، وغيره من المواضيع التي وردت في سياقات مختلفة في سور القرآن الكريم.

3. التفطن لمعاني المفردات المشتركة التي تستغلها بعض الطوائف والفرق المنحرفة لتحريف القصة ودس بعض المعاني التي لا يتحملها النص وذلك بلي أعناق النصوص.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ).

2. ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م) .

3. ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، **المصنف**، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري (دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط.1، ١٤٣٦ هـ).

4. ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).

5. ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن حمدان، (السعودية: دار العصمة، ط2، 1999) .

6. ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد، **التسهيل في علوم التنزيل**، تحقيق عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن الأرقم، ط1، 1416هـ)

7. ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي، وآخرون، (مصر: وزارة الأوقاف، ط1، 1994م) .

8. ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: أحمد محمد شاكر(دار المعارف، 1372).

9. ابن حجر: أحمد بن علي، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ).

10. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1986م).

11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1988).

12. ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

13. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984م).

14. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

15. ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، د. ط، 1979م) .

16. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تفسير غريب القرآن**، تحقيق أحمد صقر، (لبنان: دار الكتب العلمية، د. ط، 1978م).

17. ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسين التركي، (دار هاجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997).

18. **ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد، **السنن**،تحقيق: رائد بن صبري، (دار الحضارة للنشر والتوزيع،ط1، 2015).

19. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).

20. ابن هشام: أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، (دار الصحابة للتراث، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، د.ت، 1990م).

21. أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د. ط)

22. أبو حسين، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م).

23. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط**، تحقيق صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1420هـ).

24. أبو عمرو الداني، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، 1978م .

25. الأخضري: عبد الرحمن بن محمد، **متن السلم المنورق في علم المنطق**، (القاهرة: دار السلام، دم، 2023م).

26. الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

27. الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج6، ص 321.

28. إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله الجويني، **الورقات**، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1977م) .

29. الأمير: علاء الدين علي بن بلبان، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1988)

30. الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد، **الأضداد**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1987م) .

31. باحويرث: تهاني بنت سالم بن أحمد، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب**، (السعودية: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوى وأصول الدين، د.ت، د. ط).

32. البخاري: محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، (القاهرة: السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ط.٢، ١٣١١هـ)

33. البغوي: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)

34. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت، د. ط)

35. البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1987م).

36. بن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م)

37. بيبية، علية، **السياق ودلالته في القصص للقرآني قصة موسى أنموذجا**، (الإمارات العربية المتحدة، دار العرب، دار نور حوران، د.ط، 2017م).

38. البيضاوي: أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

39. الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

40. الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد على معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ) .

41. الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق مجموعة من الباحثين، (جدة: دار التفسير، ط1، 205م).

42. الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ط3، 1992م).

43. الجرجاني: علي بن محمد السيد، **معجم التعريفات**، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ط، 2004م).

44. جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية خصائص السور**، (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط1، 1999م).

45. الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987م) .

46. الحاكم: محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط.١، ١٤١١ – ١٩٩٠).

47. الخازن: أبو الحسن علاء الدين على بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)

48. الخطيب الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، **درة التنزيل وغرة التأويل**، دراسة وتحقيق وتعليق محمد مصطفى آيدين، (جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 2001م)

49. الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ط1، د.ت)

50. الخولي: محمد علي، **علم الدلالة (علم المعني)**، الأردن: دار الفلاح، د.ط، 2001)،

51. الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، **البيان في عد آي القرآن**، تحقيق: غانم قدور الحمد، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1994م).

52. الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: خلف حمود سالم الشغدلي، (المملكة العربية السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 2010م).

53. الرازي: فخر الدين عبد الله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

54. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، ط1، 1412).

55. رشيد رضا: شمس الدين محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار** (القاهرة: دار المنار، ط 2، 1947م).

56. الرماني، الخطابي، الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول، (مصر: دار المعارف، ط3، د.ت) .

57. الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م) .

58. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

59. السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م).

60. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وآخرون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993).

61. السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغانم ين عباس بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ط1، 1997م).

62. السمين الحلبي: أبو العباس أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، ط1، 1996) .

63. السمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، (دمشق: دار القلم، د.ت، د.ط).

64. سيد قطب: إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1972م).

65. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، 1974).

66. السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م).

67. الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، ط1، 1997م).

68. الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، 1285هـ، د. ط).

69. الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق خالد بن عثمان، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ) ج3، ص585.

70. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ)

71. الطبري: أبو جعفر محمد ابن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هاجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001).

72. طهماز: عبد الحميد محمود، **التفسير الموضوعي لسور القرآن العظيم**، (دمشق: دار القلم، ط2، 2014م).

73. عبابنة، يحيى **القراءات القرآنية رؤى لغوية معاصرة**، (دار الكتاب الثقافي والتوزيع والدعاية والإعلان، ط1، 2018) .

74. العسكري، أبو هلال الحسين بن عبد الله، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: بيت الله بيات، (مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ) .

75. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، (دار الكتب العلمية، ط1، 1993م).

76. الفراهي: عبد الحميد الهندي، **دلائل النظام** (المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ)

77. الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن بعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1996م) .

78. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط2، 1964م) .

79. القشيري: عبد الكريم بن هوزان، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 2000).

80. الماتريدي: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005)

81. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د، ط، د.ت) .

82. عبد السلام مقبل، **عاقبة المنذرين السنن الإلهية في تداول الأيام وقيادة الحياة دراسة تطبيقية على سنن التغيير والبناء والعاقبة.**

83. مرام عماد حفني عبد الفضيل موسى، **الدلالات السياقية لقصة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم**، جامعة قطر.

84. مسلم: مصطفى، وآخرون، **التفسير الموضوعي**، (جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 2010م).

85. مكي بن أبي طالب: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، تحقيق: الشاهد البوشيخي وآخرون، (مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط 1، 2008 م) .

86. مكي بن طالب: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، تحقيق أحمد حسن فرحات، (جدة: دار المنار، ط1، 1986م).

87. ناهد، إبراهيم عبد الرزاق السليطي، **الدلالات السياقية لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم**. جامعة قطر.

88. النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ).

89. النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد، **معاني القرآن**، تحقيق محمد علي الصابوني، (مكة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ).

90. النسفي: أبو البركات عبد الله بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق وتخريج: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1998م).

91. النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

92. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ).

93. الواحدي: أبو الحسن علي بن محمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دار القلم، ط1، 1415هـ).